مقدمات في بيان

الأركان والشروط للشهادتين

بالأدلة من الكتاب والسنة

(النسخة الثالثة مزيدة ومنقحة)

أ.د خالد بن مفلح آل حامد

- فهرس الموضوعات في مقدمة الكتاب.

١٤٤٨هـ

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
فهرس الموضوعات	٣-١٠
المقدمة	١١
منهجي في هذا الكتاب	١٣
المقدمة الأولى في بيان أركان الشهادتين وفيها خمس مسائل	١٥
المسألة الأولى : أركان الشهادتين أربعة ، دل عليها الاستقراء:	
١- الركن الأول : النطق بالشهادتين. ٢- الركن الثاني: النفي. ٣- الركن الثالث: الإثبات. ٤- الركن الرابع: المتابعة .	
المسألة الثانية: دليل التقسيم لأربعة أركان هو: الاستقراء لأدلة الكتاب والسنة .	
المسألة الثالثة: أركان الشهادتين هي أركان التوحيد لثلاثة أوجه :	١٧
الوجه الأول : أن أركان الإسلام خمسة : أول ركن منها جزءان : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله" فهما ركن واحد لا يتجزأ.	
الوجه الثاني : أن لفظ التوحيد ينطبق على كل واحدة من الشهادتين من حيث المعنى : فالشهادة بأنه لا إله إلا الله في توحيد المعبود ، والشهادة لمحمد ﷺ أنه رسول الله في توحيد المتبوع.	
الوجه الثالث: أن لفظ التوحيد يطلق على الشهادتين معا ، ويطلق على كل واحدة منهما إذا انفردت عن الأخرى ؛ لأن إحدى الشهادتين عند الإفراد تدخل فيها الأخرى ضمنا.	
المسألة الرابعة: الركن هو جزء الماهية ، وهذه الأركان هي أجزاء الشهادتين التي جاء نصها في أحاديث متعددة.	٢٠

المسألة الخامسة: أركان الشهادتين هي أركان اعتقادية باستثناء ركن النطق .	
المقدمة الثانية في بيان أدلة أركان الشهادتين وفيها أربع مسائل:	٢١
المسألة الأولى : أدلة الركن الأول: وهو : النطق بالشهادتين.	
المسألة الثانية : أدلة الركن الثاني وهو: ركن النفي ويتضمن:	٢٤
أولا: نفي الربوبية عن غير الله، فيشمل اعتقاد وجوب نفي الخلق والملك والتدبير عن غير الله ، وإثبات ذلك كله لله وحده .	
ثانيا: ومن النفي: اعتقاد وجوب تنزيه الله عن كل صفة نقص ، وعن التمثيل أو التشبيه ، وإثبات صفات الكمال المطلق لله وحده في ذاته وأسماءه وصفاته.	
ثالثا: ومن النفي: اعتقاد وجوب الكفر بما يعبد من دون الله من الآلهة المزعومة وهذا يقتضي اعتقاد وجوب البراءة من ثلاثة أمور:	٢٤
الأمر الأول: نفي الألوهية –وهي استحقاق العبادة-عن غير الله وإثباتها لله وحده.	
الأمر الثاني: وجوب البراءة من كل عبادة تصرف لغير الله ، باعتقاد بطلانها ، فيلزم منه في جانب الإثبات : إفراد الله وحده في القصد والطلب بجميع العبادات الظاهرة والباطنة.	
الأمر الثالث: وجوب البراءة من أهل الشرك باعتقاد كفرهم وبطلان ملتهم ، ووجوب بغضهم وعداوتهم في الدين ، فيلزم منه في جانب الإثبات: اعتقاد وجوب تولي أهل التوحيد بنصرتهم ومحبتهم .	٢٥

أدلة كل معنى من تلك المعاني الخمسة التي تضمنها ركني النفي والإثبات إجمالا وتفصيلا:	٢٦- ٤٣
المسألة الثالثة: أدلة الركن الثالث :الإثبات.	٤٤
المسألة الرابعة: أدلة الركن الرابع: المتابعة . ويتضمن هذا الركن وجوب اعتقاد أربعة أمور:	٤٥
الأمر الأول : اعتقاد أن محمدا هو رسول الله حقا ، واعتقاد صدقه بكل ما أخبر .	
الأمر الثاني : اعتقاد وجوب الطاعة لرسول الله ﷺ بامتثال أمره واجتناب نهيه .	٤٨
الأمر الثالث: اعتقاد وجوب محبته وتوقيره .	٥٠
الأمر الرابع : اعتقاد وجوب الاقتداء به في كل عبادة ، فلا يعبد الله إلا بما شرع .	٥٣
المقدمة الثالثة في بيان شروط الشهادتين وفيها ثمان مسائل:	٥٦
المسألة الأولى : للشهادتين ثمانية شروط دل عليها الاستقراء وهي : العلم ، والمحبة ، والقبول ، واليقين ، والصدق ، والإخلاص ، والانقياد ، والعمل بالجوارح .	
المسألة الثانية : الشروط للشهادتين معا .	
المسألة الثالثة : الترتيب الموضوعي للشروط.	٥٧
المسألة الرابعة: الحد الأعلى والحد الأدنى لكل شرط.	
المسألة الخامسة : تعلق الشروط.	٥٨

المسألة السادسة : فقدان شرط من الشروط يبطل بقيتها .	٥٩
المسألة السابعة: لا تصح العقيدة ولا العمل إلا بصحة الشروط.	٥٩
المسألة الثامنة : شروط الشهادتين شروط اعتقادية باستثناء شرط العمل بالجوارح.	٦٠
المقدمة الرابعة: في بيان أدلة شروط الشهادتين والحد الأدنى والحد الأعلى لكل شرط. وفيها سبع مسائل: المسألة الأولى : أدلة شرط العلم.	٦١
ولتحقيق شرط العلم قسمان :القسم الأول: العلم الضروري وهو الحد الأدنى الواجب وجوده عند كل مسلم.	٦٣
القسم الثاني : علم تكميلي للقسم الأول وتحقيقه يدل على كمال الإيمان.	
المسألة الثانية : أدلة شرط القبول.	٦٦
ولتحقيق شرط القبول قسمان :القسم الأول : قبول ضروري وهو الحد الأدنى من القبول الذي لابد أن يوجد عند كل مسلم.	٦٨
القسم الثاني : قبول تكميلي للقسم الأول ، وتحقيقه يدل على كمال الإيمان.	
المسألة الثالثة : أدلة شرط المحبة .	٧٠
ولتحقيق شرط المحبة قسمان :القسم الأول: محبة ضرورية وهي: الحد الأدنى من المحبة التي لابد أن توجد عند كل مسلم ، وتتمثل في ثلاثة أمور فإن خالفها أو خالف شيئا منها ، كان ذلك من قبيل المنافاة التامة لهذا الشرط :	٧٢

الأمر الأول : أن يحب الشهادتين وما تضمنتاه من المعاني بقلبه مع قوله بلسانه.	٧٢
الأمر الثاني: أن يحب جميع ما أمر الله به ، وما أمر به رسوله ﷺ من الأوامر حبا شرعيا-فالمحبة القلبية الجبلية ليست لازمة -	
وينتج عن تلك المحبة أن يبغض جميع ما نهى الله عنه ، وما نهى عنه رسوله ﷺ من النواهي بغضا شرعيا- فالبغض القلبي الجبلي ليس لازما - .	
والمقصود بالبغض الشرعي للنواهي :اعتقاد فساد المنهي عنه وأن تركه هو الحق ولو غلبته نفسه فعمل بخلافه.	
الأمر الثالث: أن لا يصرف المحبة المشوبة بالتعظيم لغير الله. القسم الثاني : محبة تكميلية للقسم الأول ، وتحقيقها يدل على كمال الإيمان ، ومخالفتها تنافي كمال الإيمان الواجب.	٧٣
أمثلة المخالفة في هذا القسم :	٧٤-٧٣
المسألة الرابعة: أدلة شرط اليقين.	٧٥
ولتحقيق شرط اليقين قسمان:القسم الأول : يقين ضروري وهو: الحد الأدنى من اليقين الذي لابد أن يوجد عند كل مسلم.	٧٩-٧٧
القسم الثاني: يقين تكميلي للقسم الأول ، وتحقيقه يدل على كمال الإيمان.	
المسألة الخامسة : أدلة شرط الصدق.	٨٠
ولتحقيق شرط الصدق قسمان : القسم الأول: صدق ضروري . وهو الحد الأدنى من الصدق الذي لابد أن يوجد عند كل مسلم .	٨٢

القسم الثاني: صدق تكميلي للقسم الأول ، وتحقيقه يدل على كمال الإيمان	
المسألة السادسة : أدلة شرط الإخلاص. وقبل الشروع في بيان كيفية تحقيق الإخلاص وبيان أقسامه، فلابد من توضيح مسألتين لهما تعلق بشرط الإخلاص:	٨٥
المسألة الأولى : الإخلاص شرط في الثواب على العبادات غير المحضة ، فالعبادات الخالصة : من شرط صحتها والثواب عليها الإخلاص ، والعبادات غير الخالصة: من شرط الثواب عليها الاحتساب وهو بمعنى إخلاص النية فيها لله وحده .	٨٧
المسألة الثانية : هل يعاقب من لم يخلص النية لله في بعض العبادات غير المحضة مثل ما جاء في بعض الأحاديث؟فهذه الأحاديث وما جاء في معناها موضع استشكال : فإن هذه الأعمال تحتمل: إرادة الدنيا ، وإرادة الآخرة ، وهم طوائف:	٩١-٨٨
الطائفة الأولى : هم الذين أظهروا للناس أنهم يريدون بهذه الأعمال وجه الله والدار الآخرة ، وهم في بواطنهم إنما يريدون الدنيا فقط.	
والطائفة الثانية : هم من جاهد ، أو أنفق ، أو علم ، ولم يرد بذلك الآخرة ، ولكنه لم يظهر للناس أنه أراد الآخرة كما في الطائفة الأولى ، وإنما فعل هذه الأمور من باب أداء ما يجب عليه من غير احتساب ، فيحتمل أن لا يثاب ولا يعاقب ، فهو لايعاقب لأنه أدى الواجب المطلوب منه ، ولا يثاب لأنه لم يحتسب .	
الطائفة الثالثة : هم من شرك إرادة الدنيا بإرادة الآخرة وهاهنا وجهتان:	

الوجهة الأولى : بأن يقال : بأن من أشرك في إرادته الآخرة ، فإنه لا يعاقب ، ولكنه لا يثاب لعدم إخلاص الإرادة لله .	
الوجهة الثانية : بأن يقال بأنه يؤجر على إرادته الآخرة إذا لم يكن رياء.	
ولتحقيق شرط الإخلاص قسمان:	٩٢
القسم الأول : إخلاص ضروري : وهو الحد الأدنى من الإخلاص الذي لابد أن يوجد عند كل مسلم بأن:	
القسم الثاني : قسم تكميلي : فتحقيقه يدل على كمال الإيمان	٩٣
المسألة السابعة : أدلة شرط الانقياد.	٧٣
ولتحقيق شرط الانقياد قسمان : القسم الأول: انقياد ضروري ، وهو الحد الأدنى من الانقياد القسم الثاني: انقياد تكميلي للقسم الأول ، وتحقيقه يدل على كمال الإيمان .	٩٦-٩٩
المقدمة الخامسة: في بيان الشرط الثامن (العمل بالجوارح) وفيها خمس مسائل:	١٠٠-١٠١
المسألة الأولى : التنبيه على التلازم بين القول والاعتقاد والعمل.	
الجزء الأول من معاني الإيمان هو : قول اللسان، وقد تحقق في الركن الأول من أركان الشهادتين، وهو ركن النطق بهما.	
الجزء الثاني من معاني الإيمان وهو اعتقاد القلب ، وقد تحقق في موضعين:	
الموضع الأول : اعتقاد القلب الذي تضمنته بقية أركان الشهادتين وهي: ركن النفي، وركن الإثبات، وركن المتابعة، فإن جميع ما تضمنته من المعاني هي اعتقاد بالقلب.	

الموضع الثاني: اعتقاد القلب الذي تضمنته شروط الشهادتين وهي العلم والقبول والمحبة اليقين والصدق والإخلاص والانقياد فكل هذه الشروط هي من عمل القلب كما تقدم.	
الجزء الثالث من معاني الإيمان وهو: عمل الجوارح وهو من لوازم عمل القلب، وهو العمل بموجب شروط الشهادتين -من العلم والقبول والمحبة اليقين والصدق والإخلاص والانقياد –من خلال أداء بقية أركان الإسلام المتمثلة في الصلاة، والزكاة، والصوم والحج، ويلحق بها الجهاد ونحو ذلك من أعمال الجوارح.	٧٨
المسألة الثانية : هل العمل بالجوارح شرط للصحة ؟ أم شرط كمال؟	١٠١
المسألة الثالثة : المقصود بالعمل في هذا الشرط (العمل بالجوارح)	١٠٢
المسألة الرابعة : أدلة شرط عمل الجوارح	١٠٢-١٠٤
المسألة الخامسة : لتحقيق شرط العمل بالجوارح قسمان :	١٠٤
القسم الأول : وهو العمل الضروري ، وهو : الحد الأدنى من أعمال الجوارح.	١٠٤-١٠٥
القسم الثاني: العمل التكميلي للقسم الأول وتحقيقه يدل على كمال الإيمان .	
المقدمة السادسة: الدلالة الظاهرة والدلالة الباطنة للأركان والشروط وفيها مسألتان: المسألة الأولى :العلاقة بين الدلالة الظاهرة والدلالة الباطنة للأركان والشروط .	١٠٦
المسألة الثانية: حكم الدلالة الباطنة والدلالة الظاهرة نفيا وإثباتا.	١٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الذي قال : ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨] ، وقال : ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٢] ، وقال : ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦] ، وقال : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤] وقال : ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١] ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، نبينا محمد ﷺالقائل :" أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ ." (١) ، والقائل : "ادْعُهُمْ إِلَى: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ " (٢)

أما بعد: فهذا مؤلف يسير في بيان أعظم أركان الإسلام ، وهو ركن الشهادتين ، فكل ركن من أركان الإسلام ، له أركان وشروط وواجبات ، استنبطها العلماء من استقراء الأدلة من الكتاب والسنة . ومن المعلوم أن نصوص الكتاب والسنة ، لم تنص على كون هذا ركنا ، أو شرطا ، أو واجبا ، سواء كان في أبواب العقيدة أو الفقه . وإنما هي مجرد اصطلاحات ، يراد منها التيسير والتوضيح لطلبة العلم ، ولكن تلك التقسيمات من حيث المصدر تستند على استقراء العلماء لنصوص الوحيين.

لقد كثرت المؤلفات في بيان الشهادتين إجمالا ، وجميع مسائل العقيدة تفصيلا ، فليس هناك مسألة من مسائل العقيدة لم يتم بحثها ، ولكني لم أقف على بحث هذا الموضوع-(أركان وشروط الشهادتين)- بشكل مستقل، فجميع أركان الإسلام تم بيانها من حيث ، الأركان ، والشروط ، كالصلاة ، والزكاة

---

(١) – أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ٥٥) برقم: (٢٩٨٢) (كتاب الجهاد والسير ، باب حمل الزاد في الغزو) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ١٠٤) برقم: (١٣٩٥) (كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٣٧) برقم: (١٩) (كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه)

، والصوم ، والحج ، سوى الركن الأول من أركان الإسلام ، وهو ركن الشهادتين ، فإنني بعد البحث والتقصي لم أقف على من خص هذا الموضوع بمؤلف مستقل ، يبين فيه أركان الشهادتين ، وماتضمنه كل ركن من المعاني ، مع بيان أدلة ذلك كله من الكتاب والسنة ، ومثل ذلك في الشروط ؛ فإن من تحدث عنها ، ذكرها كشروط خاصة بلا إله إلا الله دون الشهادة الأخرى "بأن محمدا رسول الله" ، والشروط في حقيقة الأمر شاملة لهما ، وبعضهم ربما أدخل في الشروط ما يعد ركنا من أركان الشهادتين ، كمن أدخل الكفر بما يعبد من دون الله في الشروط ، وهو من أهم أركان شهادة لا إله إلا الله وهو النفي . فرأيت أن الحاجة ماسة في بيان أهم أركان الإسلام من حيث أركانه وشروطه ،وجمع ما ذكره أهل العلم حوله .

وليس في هذا الكتاب شيء جديد لم أسبق إليه ، بل هو مستخلص من كلام أهل العلم ، فقمت باستقراء كلامهم حول هذا الموضوع وجمعت بينه ، فإن بعضهم يكمل بعضا ، ومن أهم المصادر في ذلك :

- مجموع مؤلفات للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ، فإنه لايكاد يخلو مؤلف من مؤلفاته إلا وهو يتحدث عن هذه القضية ، وعلى وجه الخصوص: كتاب التوحيد ، ومعظم شروحه من قبل أئمة دعوة التوحيد من بلاد نجد.
- بعض الكتب لشيخ الإسلام بن تيمية وتلميذه بن القيم رحمهما الله تعالى.
- بعض الكتب للشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى.

لقد عشت مع موضوع هذا المؤلف سنوات طويلة تربو على خمس وعشرين سنة، فلازلت أصحح ، وأنقح ، وأزيد وأنقص حتى خرج بهذه الحلة ، والتي برغم بذل غاية الجهد فيها ، ستظل جهدا

بشريا لن يخلو من النقص بحال . فما كان فيه من صواب فمن الله وحده ، وماكان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان ، والله ورسوله منه بريئان .

وهذه هي النسخة الثالثة من الكتاب ، وقد كنت أخرجت النسخة الأولى قبل أربع سنوات ، والنسخة الثانية في العام الماضي . وتم تصحيح النسخة الثانية والزيادة عليها ، وتصحيح بعض الأخطاء وإعادة الصياغة لبعض العبارات . وهذه هي النسخة الثالثة من هذا المؤلف ، وتم تعديل وتصحيح بعض الألفاظ والمعاني . وبناء على ذلك ، فإن هذه النسخة حاكمة على النسخة الثانية وما قبلها .

وقد كان العنوان في النسخة الأولى (مقدمات في بيان أركان التوحيد وأدلته وشروطه) وقد تم تعديله في النسخة الثانية إلى (مقدمات في بيان أركان التوحيد ، وشروطه بالأدلة من الكتاب والسنة) ، وتم تعديل هذا العنوان في هذه النسخة بهذا العنوان " " مقدمات في بيان الأركان والشروط للشهادتين بالأدلة من الكتاب والسنة"

وهذا العنوان في ظني أوضح في بيان المقصود.

- منهجي في هذا الكتاب :

- جعلت الكتاب في ست مقدمات ، وكل مقدمة تتضمن بعض المسائل على النحو التالي :

المقدمة الأولى : في بيان أركان الشهادتين ، وفيها خمس مسائل .

المقدمة الثانية : في بيان أدلة أركان الشهادتين ، وفيها أربع مسائل .

المقدمة الثالثة: في بيان شروط الشهادتين ، وفيها ثمان مسائل .

المقدمة الرابعة: في بيان أدلة شروط الشهادتين ، وفيها سبع مسائل .

المقدمة الخامسة: في بيان الشرط الثامن من شروط الشهادتين ، وفيها ست مسائل .

المقدمة السادسة: الدلالة الظاهرة والدلالة الباطنة للأركان والشروط ، وفيها مسألتان.

اقتصرت في هذا الكتاب على نصوص الكتاب ، ونصوص السنة الصحيحة في معظم المواضع ، مع التوضيح -باختصار- للمقصود في بعضها ، مستعينا في ذلك ببعض نصوص أهل العلم، والإشارة في بعض المواضع لأهم المسائل المتعلقة بكل ركن أو شرط.

هذا الكتاب يعد متنا مختصرا لموضوعه ، سائلا المولى جل شأنه أن ييسر شرحه شرحا وافيا في قريب الزمان ، أو يقيض له من يقوم بذلك ، إنه جواد كريم .

- أذكر كل ركن ، مع بيان ما يتضمنه من المعاني ، والاستدلال لكل معنى ، بنصوص الكتاب والسنة الصحيحة .
- أذكر الشروط وأقسامها ، وأدلة كل شرط ، ووجه ربطه بركن الشهادتين .
- قمت بتخريج الأحاديث وبيان الحكم عليها ، مالم تكن في الصحيحين ، أو في أحدهما ، وهو الأعم الأغلب.

أسأل الله العظيم ، أن ينفع به ، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، إنه سميع قريب مجيب الدعوات وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

خالد بن مفلح عبدالله آل حامد.

يوم الأربعاء التاسع من شهر محرم ، من سنة ثمان وأربعين وأربعمائة وألف للهجرة النبوية .

والحمد لله رب العالمين .

المقدمة الأولى

في بيان أركان الشهادتين

وفيها خمس مسائل:

❖ **المسألة الأولى :** أركان الشهادتين أربعة ، دل عليها الاستقراء :

١- الركن الأول : النطق بالشهادتين. ٢- الركن الثاني: النفي. ٣- الركن الثالث: الإثبات. ٤- الركن الرابع: المتابعة.

❖ **المسألة الثانية:** دليل تقسيم الشهادتين لأربعة أركان هو: الاستقراء لأدلة الكتاب والسنة ، كما سيأتي مفصلا، وقد جاءت هذه الأركان بهذا التقسيم -بعينه- منصوصة في عدة أحاديث منها :

- حديث ابن عمر رضي الله عنهما في بيان أركان الإسلام ونصه كما في الصحيحين:

:" بني الإسلام على خمس : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالْحَجِّ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ "(١)

- وكذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما كما في الصحيحين في قصة وفد قيس وفيه أن النبي ﷺ:" أَمَرَهُمْ: بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ ، قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمُسَ. "

(٢)

---

(١) – أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١١) برقم: (٨) (كتاب الإيمان ، باب دعاؤكم إيمانكم) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (١ / ٣٤) برقم: (١٦) (كتاب الإيمان ، باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بني الإسلام على خمس) (بمثله.)

(٢) – أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٢٠) برقم: (٥٣) (كتاب الإيمان ، باب أداء الخمس من الإيمان) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٣٥) برقم: (١٧) (كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه) (بنحوه.)

- وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما كما في الصحيحين " أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى الْيَمَنِ ، فَقَالَ: ادْعُهُمْ إِلَى: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ ، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ . فقال ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم " [1]
- وجه الاستدلال: حيث قال في بيان الركن الأول من أركان الإسلام وهو ركن الشهادتين:
- " بني الإسلام على خمس : "شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله "
- ومثله في حديث وفد قيس .
- وفي الحديث الآخر في بعث معاذ ﷺ لليمن وفيه " ادْعُهُمْ إِلَى: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ "
- فركن النطق أخذا من قوله :"شهادة" .
- وركني النفي والإثبات أخذا من قوله :"أن لا إله إلا الله" .
- وركن المتابعة أخذا من قوله :" وأن محمدا رسول الله ". " وأني رسول الله"

على أن التقسيم عند العلماء - في العقيدة والعبادة إلى أركان وشروط وواجبات، وكما ذكرت في مقدمة هذا الكتاب - مجرد اصطلاح يراد منه التوضيح والبيان ، ولا مشاحة في الاصطلاح إذا كان المعنى صحيحا .

والله تعالى أعلم .

---

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ١٠٤) برقم: (١٣٩٥) (كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٣٧) برقم: (١٩) (كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه)

❖ **المسألة الثالثة:** أركان الشهادتين هي أركان التوحيد لثلاثة أوجه :

- **الوجه الأول :** أن أركان الإسلام خمسة : أول ركن منها جزءان : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله" فهما ركن واحد لا يتجزأ[١] ، وهما نصفان لايصح أحدهما دون الآخر .
- **الوجه الثاني :** أن لفظ التوحيد ينطبق على كل واحدة من الشهادتين من حيث المعنى : فالشهادة بأنه لا إله إلا الله في توحيد المعبود ، والشهادة لمحمد ﷺ أنه رسول الله في توحيد المتبوع .
- **الوجه الثالث:** أن لفظ التوحيد يطلق على الشهادتين معا ، ويطلق على كل واحدة منهما إذا انفردت عن الأخرى ؛ لأن إحدى الشهادتين عند الإفراد تدخل فيها الأخرى ضمنا ، فإذا اجتمعا افترقا ، وإذا افترقا اجتمعا ، فإن إحدى الشهادتين عند الانفراد تشمل الأخرى ، بل ، وتشمل جميع أركان الإسلام ضمنا ومما يدل على ذلك أحاديث منها:

- ماجاء في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما في قصة وفد قيس وفيه:" فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيَكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا ، وَنَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ. وَسَأَلُوهُ عَنِ الْأَشْرِبَةِ: فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ ، أَمَرَهُمْ: بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ ، قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمُسَ. "[٢]

---

(١) – فإن قلت : لقد قمت بتقسيم هذا الركن إلى أربعة أركان . فكيف يصح قولك بأنه لا يتجزأ ؟ قلت : المقصود بعدم صحة التجزئة: أنه لا يمكن أن يصح أحد الجزئين بدون الآخر عند التطبيق العملي ، فالاعتقاد بأنه لا إله إلا الله ، لايصح ، إذا لم يتضمن الاعتقاد بأن محمدا رسول الله ، وأما التقسيم النظري فالمراد منه التوضيح لمكونات هذا الركن فلا يدخل في هذا ، ومثله بقية أركان الإسلام التي قسمها العلماء إلى أركان وشروط وواجبات . والله تعالى أعلم .

(٢) – أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٢٠) برقم: (٥٣) (كتاب الإيمان ، باب أداء الخمس من الإيمان) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٣٥) برقم: (١٧) (كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه) (بنحوه)

- ماجاء في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في بيان أركان الإسلام :" بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالْحَجِّ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ . "[١]

- وفي لفظ في صحيح مسلم وفيه :" بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةٍ : عَلَى أَنْ يُوَحَّدَ اللهُ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ ، وَالْحَجِّ " [٢].

- وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى الْيَمَنِ ، فَقَالَ: ادْعُهُمْ إِلَى: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ ، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ . فقال ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم " [٣]

- وفي لفظ للبخاري عن ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذًا نَحْوَ الْيَمَنِ ، قَالَ لَهُ: إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَى ، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ ، فَإِذَا صَلَّوْا ، أَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ ، تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ ، فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ ."[٤]

---

(١) – أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١١) برقم: (٨) (كتاب الإيمان ، باب دعاؤكم إيمانكم) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" ((١ / ٣٤) برقم: (١٦) (كتاب الإيمان ، باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بني الإسلام على خمس) (بمثله.)

(٢) – أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٣٤) برقم: (١٦) (كتاب الإيمان ، باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بني الإسلام على خمس) (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ١٠٤) برقم: (١٣٩٥) (كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٣٧) برقم: (١٩) (كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه)

(٤) – أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ١١٤) برقم: (٧٣٧٢) (كتاب التوحيد ، باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله) (بهذا اللفظ)

- وقوله ﷺ كما في صحيح مسلم عن أبي مالك الأشجعي ﷺ أن النبي ﷺ قال « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله »[١]
- وفي البخاري عن أنس بن مالك ﷺ عن النبيﷺ أنه قال :" أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله" [٢].

وجه الاستدلال من تلك الأحاديث: أنه قد عبر عن الشهادتين بإحداهما كما في قوله" أن يوحد الله" ، وقوله: " أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَى" ، وقوله: "من قال لا إله إلا الله" ، وقوله: "حتى يقولوا لا إله إلا الله" ولم يذكر فيها شهادة أن محمدا رسول الله ؛ لأنها داخلة فيها قطعا بدليل النصوص الأخرى التي جاءت بالنص عليهما معا .

ومن أجل ذلك فقد درج العلماء على إطلاق شهادة التوحيد على كلمة لا إله إلا الله فقط ، ولكنهم قطعا يضمنونها الشهادة الأخرى:" أن محمدا رسول الله" فلا يمكن أن تصح بدونها إجماعا . وهم عندما قصروا إطلاق شهادة التوحيد ، على الجزء الأول فقط ؛ فلأنه من المعلوم بالضرورة عندهم ، أن الجزء الثاني داخل فيها ضمنا، وإن لم ينصوا عليها في بعض المواضع. ولكن أكثر الناس اليوم لا يعقلون هذا ، فلا بد من التنصيص على أن شهادة التوحيد تشمل شهادة أن محمدا رسول الله ؛ سدا لذريعة سوء الفهم ، وتوضيحا لمقصود العلماء بهذا الإطلاق.

---

(١) – أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٣٩) برقم: (٢٣) (كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٨٧) برقم: (٣٩٢) (كتاب الصلاة ، باب فضل استقبال القبلة) (بهذا اللفظ)

❖ **المسألة الرابعة:** الركن هو جزء الماهية ، وهذه الأركان هي أجزاء الشهادتين التي جاء نصها في حديث ابن عمر رضي الله عنهما المتقدم وحديثي ابن عباس رضي الله عنهما المتقدمين ، فمعنى الركن منطبق عليها لفظا ومعنى.

❖ **المسألة الخامسة:** أركان الشهادتين هي أركان اعتقادية باستثناء ركن النطق .

ومعنى كونها اعتقادية: أي أنها متعلقة بالاعتقاد القلبي قولا وعملا(قول القلب وعمله) وكذلك الشروط فإنها متعلقة بالاعتقاد القلبي أيضا باستثناء شرط العمل بالجوارح كما سيأتي.

فالذي تضمنته الأركان الثلاثة:-" النفي والإثبات، والمتابعة"- من المعاني، مبناها على اعتقاد تلك المعاني والإيمان بها. وأما الركن الأول وهو النطق بالشهادتين، فهو عملي متعلق بجارحة اللسان إذا كان عنده القدرة على النطق ، فينوب عن ذلك الإشارة أو الكتابة أو القرائن. وقد أمضى رسول الله ﷺ عشر سنوات يؤسس لهذه المعاني الاعتقادية ويدعو إليها ، قبل تقرير بقية أركان الإسلام العملية ، مما يدل على عظم الأمر وأهميته. والله تعالى أعلم.

المقدمة الثانية

في بيان أدلة أركان الشهادتين

وفيها أربع مسائل

❖ **المسألة الأولى :** أدلة الركن الأول: وهو : النطق بالشهادتين.

وقد دل عليه الكتاب والسنة:

- فمن الكتاب آيات منها:
  - قوله تعالى : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ الآية١٩ آل عمران .
  - وقوله تعالى: ﴿قل أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ من الآية ١٩ الأنعام .
  - وقوله تعالى : ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الآية ٨٧ الحج .
  - وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ من الآية ٣٠ فصلت.
- ومن السنة أحاديث منها:
  - قوله عليه الصلاة والسلام في الصحيحين : عن أبي هريرة ﷺ في قصة ثمامة بن آثال ﷺ وفيه " فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل **ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله** " [1]

---

(١) - صحيح البخاري١/ ٩٩ باب الاغتسال إذا أسلم وربط الأسير أيضا في المسجد برقم ٤٦٢ ؛ صحيح مسلم ٥/ ١٥٨ برقم ٤٦٨٨ .

- وفي الصحيحين وهذا لفظ البخاري عن سعيد بن المسيب عن أبيه أنه أخبره أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه ﷺ فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة قال ﷺ لأبي طالب **يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله** فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب **وأبى أن يقول لا إله إلا الله"** [١] .
- وفي صحيح مسلم عن عبادة بن الصامت ﷺ**قال قال رسول الله** ﷺ :**"من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله** وأن عيسى عبد الله وبن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق وأن النار حق أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء" [٢]
- وفي الصحيحين عن البراء بن عازب ﷺ **(جاء رجل من بني النبيت قبيل من الأنصار فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله** ثم تقدم فقاتل حتى قتل فقال ﷺ عمل هذا يسيرا وأجر كثيرا" [٣] **وهذا لفظ مسلم.**
- وفي صحيح البخاري عن عبدالله بن سلام ﷺ**... قال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله** قال يا رسول الله إن اليهود قوم بهت فاسألهم عني قبل أن يعلموا بإسلامي فجاءت اليهود فقال ﷺ أي رجل عبد الله بن سلام فيكم قالوا خيرنا وبن خيرنا وأفضلنا وبن أفضلنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام قالوا أعاذه الله من ذلك فأعاد عليهم فقالوا مثل ذلك فخرج إليهم عبد الله فقال **أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله** قالوا شرنا وبن شرنا وتنقصوه قال هذا كنت أخاف يا رسول الله" [٤]

---

(١) - صحيح البخاري - م م (٢/ ٩٥ باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله ر١٣٦٠ ؛ صحيح مسلم ١/ ٤٠ ر١٤١

(٢) - . صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار جزء: ١ صفحة: ٤٢ برقم ٢٨

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ٢٠) برقم: (٢٨٠٨) (كتاب الجهاد والسير ، باب عمل صالح قبل القتال) ومسلم في "صحيحه" (٦ / ٤٣) برقم: (١٨٩٩) (كتاب الإمارة ، باب ثبوت الجنة للشهيد) ، (٦ / ٤٤) برقم: (١٩٠٠) (كتاب الإمارة ، باب ثبوت الجنة للشهيد)

(٤) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٣٢) برقم: (٣٣٢٩) (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) (بهذا اللفظ)

- وفي صحيح عن أبي مالك الأشجعي ﷺ أن النبي ﷺ قال « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله » [١]
- وفي البخاري عن أنس بن مالك ﷺ عن النبيﷺ أنه قال :" أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله" [٢].
- وفيهما عن بن عمر رضي الله عنهما عن النبيﷺ أنه قال " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله" [٣].

وجه الاستدلال مما تقدم : أن جميع هذه الآيات والأحاديث ، تدل على أن النطق بالشهادتين لابد منه لكل من أراد دخول الإسلام ، وهو معنى حديث ابن عمر رضي الله عنهما المتقدم في بيان أركان الإسلام حين قال عليه الصلاة والسلام: " بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ".[٤]..الحديث وماجاء في معناه من الأحاديث التي تقدم ذكرها . والله تعالى أعلم.

---

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٣٩) برقم: (٢٣) (كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٨٧) برقم: (٣٩٢) (كتاب الصلاة ، باب فضل استقبال القبلة) (بهذا اللفظ)

(٣) - . أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٤) برقم: (٢٥) (كتاب الإيمان ، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (١ / ٣٩) برقم: (٢٢) (كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله) (بمثله.)

(٤) – أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١١) برقم: (٨) (كتاب الإيمان ، باب دعاؤكم إيمانكم) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (١ / ٣٤) برقم: (١٦) (كتاب الإيمان ، باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بني الإسلام على خمس) (بمثله.)

❖ المسألة الثانية : أدلة الركن الثاني وهو: ركن النفي .

ركن النفي مرتبط بركن الإثبات ؛ لأن كل ما تنفيه عن غير الله في ركن النفي يجب عليك أن تثبته لله وحده في ركن الإثبات كما سيأتي ، وبناء على ذلك :

فإن ركني النفي والإثبات يتضمنان اعتقاد ثلاثة أمور إجمالا:

- أولا: نفي الربوبية عن غير الله، فيشمل اعتقاد وجوب نفي الخلق والملك والتدبير عن غير الله ، وإثبات ذلك كله لله وحده .
- ثانيا: ومن النفي: اعتقاد وجوب تنزيه الله عن كل صفة نقص ، وعن التمثيل أو التشبيه ، وإثبات صفات الكمال المطلق لله وحده في ذاته وأسماءه وصفاته.
- ثالثا: ومن النفي: اعتقاد وجوب الكفر بما يعبد من دون الله من الآلهة المزعومة وهذا يقتضي اعتقاد وجوب البراءة من ثلاثة أمور:

- الأمر الأول: نفي الألوهية –وهي استحقاق العبادة-عن غير الله وإثباتها لله وحده ، فلا يستحق العبادة الظاهرة والباطنة أحد سوى الله ، وبتحقق هذا النفي: باعتقاد وجوب البراءة من كل معبود سوى الله ، واعتقاد بطلان كل عبادة إذا صرفت لغير الله، ويلزم منه في جانب الإثبات : وجوب اعتقاد أن المستحق للعبادة كلها هو الله وحده ، ووجوب صرف جميع العبادات الظاهرة والباطنة لله وحده .

- **الأمر الثاني**: وجوب البراءة من كل عبادة تصرف لغير الله ، باعتقاد بطلانها ، فيلزم منه في جانب الإثبات : إفراد الله وحده في القصد والطلب بجميع العبادات الظاهرة والباطنة[١] .
- **الأمر الثالث**: وجوب البراءة من أهل الشرك باعتقاد كفرهم وبطلان ملتهم ، ووجوب بغضهم وعداوتهم في الدين ، فيلزم منه في جانب الإثبات: اعتقاد وجوب تولي أهل التوحيد بنصرتهم ومحبتهم[٢] .

---

(١) - فإن قيل : ألا يدخل هذا فيما قبله(الأمر الأول) ؟ قلت: لا . فقد يوجد من يعتقد صحة عبادة غير الله ولو لم يصرف-هو- شيئا لغير الله ، بل لو صرف عبادته كلها لله فلا يغني عنه ذلك شيئا إذا كان يعتقد جواز صرف العبادة لغير الله من قبل غيره ، فهنا لم تتحقق البراءة كاملة ، فالبراءة الكاملة توجب اعتقاد عدم جواز صرف العبادة لغير الله سواء من قبله أو من قبل غيره . ولذا حسن التفريق بينهما . ، فالأمر الأول : نفي الألوهية –وهي استحقاق العبادة- عن غير الله وإثباتها لله وحده ، فلا يستحق العبادة الظاهرة والباطنة أحد سوى الله ، والأمر الثاني هو من لازم الأول ، فالبراءة من المعبود سوى الله يقابله اعتقاد وجوب صرف جميع أنواع العبادة لله لأنه المستحق للعبادة وحده ، فكل آلهة غير الله فهي آلهة باطلة ، فلا أحد يستحق العبادة – التي هي من عمل العباد - إلا الله ، فيجب إفراده بالقصد والطلب بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة. فالأول يتعلق بموقف العبد من الآلهة الباطلة من جهة وجوب اعتقاد بطلانها ، والثاني يتعلق بموقف العبد نفسه من حيث اعتقاد وجوب إفراد الله وحده في القصد والطلب بجميع عباداته الظاهرة والباطنة. والثالث : اعتقاد وجوب إفراد الله بجميع أنواع العبادة الظاهرة أو الباطنة من قبل الغير ، وبهذا يسلم اعتقاده ، فهو لا يعتقد جواز صرف العبادة لغير الله سواء كان الصارف لها هو، أو غيره . والله تعالى أعلم.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في إحدى رسائله:" فالنهي عن الشرك ، يستلزم الكفر بالطاغوت ، ولا إله إلا الله الإيمان بالله ، وهذا وإن كان متلازما فيوضحه لكم الواقع وهو: أن كثيرا من الناس يقول: لا أعبد إلا الله ، وأنا أشهد بكذا ، وأقر بكذا ويكثر الكلام ، فإذا قيل له ما تقول في فلان وفلان إذا عَبدا أو عُبدا من دون الله ؟ قال: ما علي من الناس ، الله أعلم بحالهم ، ويظن بباطنه أن ذلك لا يجب عليه" . وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١٧/٦ / من كتاب التوحيد / باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله. :" ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : "من قال : لا إله إلا الله وكفر بما يُعْبدُ من دون الله ، حرم ماله ودمه ، وحسابه عَلى الله" وهذا من أعظم ما يبين معنى "لا إله إلا الله" فإنه لم يجعل التلفُّظَ بها عاصِماً للدَّم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لَفْظها ، بل ولا الإقرارَ بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له ، بل لا يَحْرُمُ ماله ودمُه حتى يُضِيفَ إلى ذلك الكفْرَ بما يعْبُدُ من دون الله . فإن شَكَّ أو توقّفَ لم يَحْرُمْ ماله ودمُه . فيالها من مسألةٍ ما أعْظَمها وأجَلّها ، ويالَهُ من بيانٍ ما أوْضَحَهُ ، وحجّةٍ ما أقطَعَهَا للمنازع"

(٢) - والغالب في هذه العداوة والبغضاء أن تكون متكلفة ، وليست مما قد يوجد طبعا لسبب يقتضي ذلك ، لأن العداوة والبغضاء مطلوبة شرعا ضد كل كافر ، ولو كان من أقرب الناس إليك كالوالدين ، والزوجة إذا كانت من أهل الكتاب .وهذا هو الابتلاء الحقيقي الذي يخفق فيه أكثر الناس ، وهو : أن تبغض – البغض الشرعي الواجب لكل كافر أو عاصي- وإن كان الشخص ممن تحب حبا جبليا لقرابة أو إحسان ، وأن تحب-الحب الشرعي الواجب لكل مسلم- وإن كان الشخص ممن تبغض بغضا قلبيا-لسبب يقتضي البغضاء في أمر من أمور الدنيا .

فهذه خمس معان تضمنها ركني النفي والإثبات من حيث التفصيل، وهي ثلاثة عند الإجمال[١].

وفيما يلي أدلة كل معنى من تلك المعاني التي تضمنها ركني النفي والإثبات إجمالا وتفصيلا ، من الكتاب والسنة :

- أولا : نفي الربوبية عن غير الله ، فيشمل اعتقاد وجوب نفي الخلق والملك والتدبير عن غير الله ، وإثبات ذلك كله لله وحده . وقد دل عليه الكتاب والسنة :

- فمن الكتاب :

- أولا: أما إفراد الله بالخلق : فيكون باعتقاد أنه لا خالق إلا الله كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ (الرعد: ١٦)
- وقوله تعالى : ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (الأنعام: ١٠٢)
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ (فاطر: ٣)
- ثانيًا: وأما إفراده بالملك فبأن نعتقد بأنه لا يملك الخلق إلا الله كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (المؤمنون: ٨٨)

---

(١) -فالأول : نفي الربوبية عن غير الله وإثباتها لله وحده ،والثاني تنزيه الله عن كل صفة نقصه ، وإثبات صفات الكمال لله وحده ، والثالث من اعتقاد النفي وهو : "الكفر بما يعبد من دون الله" يتضمن البراءة من ثلاثة أمور :١- البراءة من كل معبود سوى الله ، فيلزم منه في جانب الإثبات اعتقاد أن المستحق للعبادة هو الله وحده ٢- البراءة من كل عبادة تصرف لغير الله ، فيلزم منها في جانب الإثبات إفراد الله وحده في القصد والطلب بجميع العبادات. ٣- البراءة من كل عابد لغير الله ، فيلزم منها في جانب الإثبات تولي كل مؤمن بالله ورسوله . فالأول في البراءة من المعبود سوى الله ، والثاني في البراءة من العبادة المصروفة لغير الله ، والثالث في البراءة من العابد لغير الله . فهي ثلاثة أمور من حيث الإجمال ، وخمسة عند التفصيل. والله تعالى أعلم.

- **ثالثًا: أما إفراد الله بالتدبير: فبأن نعتقد بأنه لامدبر إلا الله وحده . ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ٥٤)**
- **وقوله تعالى : ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (يونس: ٣١)**

وجه الاستدلال من الآيات: أن جميع تلك الآيات وما جاء في معناها ، تتضمن: نفي الخلق والملك والتدبير عن غير الله وإثباتها لله وحده ، وصيغة الاستفهام أوضح في دلالتي النفي والإثبات ، كما في قوله تعالى (هل من خالق غير الله ؟) فالجواب : لا خالق إلا الله فكأنك قلت لا إله إلا الله وهكذا ما جاء في معناها من الآيات.

- **ويدل على ذلك من السنة أحاديث منها:**
  - **ماجاء في صحيح البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال** دخلت على النبي ﷺ وعقلت ناقتي بالباب فأتاه ناس من بني تميم ، فذكر الحديث وفيه " قالوا قد قبلنا يا رسول الله قالوا جئناك نسألك عن هذا الأمر **قال كان الله ولم يكن شيء غيره** وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السماوات والأرض" [١]
  - **وفي لفظ للبخاري عنه** "جِئْنَاكَ لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ ، وَلِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ مَا كَانَ ، قَالَ: **كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ** ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ"[٢]

---

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٠٥) برقم: (٣١٩١) (كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في قول الله تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ١٢٤) برقم: (٧٤١٨) (كتاب التوحيد ، باب وكان عرشه على الماء)

- وفي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ في غزوة بني المصطلق أنهم أصابوا سبايا فأرادوا أن يستمتعوا بهن ولا يحملن فسألوا ﷺ عن العزل فقال ما عليكم أن لا تفعلوا فإن الله قد كتب من هو خالق إلى يوم القيامة وفي لفظ" **ليست نفس مخلوقة إلا الله خالقها** "[١]
- **وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال سمعت ﷺ يقول:" قال الله عز وجل ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو شعيرة"**[٢]
- **وفي البخاري عن أنس ﷺ : قال ﷺ :"** لن يبرح الناس يتساءلون حتى يقولوا هذا الله خالق كل شيء **فمن خلق الله"**[٣]
- **وفي مسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال" اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شئ"**[٤]
- **وفي صحيح البخاري عن بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:" مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ولا يعلم ما في غد إلا الله ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله"**[٥]

---

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ١٢١) برقم: (٧٤٠٩) (كتاب التوحيد ، باب قول الله هو الله الخالق البارئ المصور) بهذا اللفظ ومسلم في "صحيحه" (٤ / ١٥٧) برقم: (١٤٣٨) (كتاب النكاح ، باب حكم العزل) بنحوه مطولا

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ١٦١) برقم: (٧٥٥٩) (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى والله خلقكم وما تعملون) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (٦ / ١٦٢) برقم: (٢١١١) (كتاب اللباس والزينة ، باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة) (بمثله مطولا.)

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ٩٦) برقم: (٧٢٩٦) (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب ما يكره من كثرة السؤال) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (١ / ٨٥) برقم: (١٣٦) (كتاب الإيمان ، باب بيان الوسوسة فِي الإيمان وما يقوله من وجدها) (بمعناه مطولا.)

(٤) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٧٨) برقم: (٢٧١٣) (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع) (بهذا اللفظ)

(٥) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦ / ٧٨) برقم: (٤٦٩٧) (كتاب تفسير القرآن ، باب قوله الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام غيض نقص) (بهذا اللفظ)

وجه الاستدلال : فجميع هذه الأحاديث وما جاء في معناها تتضمن نفي الخلق والملك والتدبير عن غير الله وإثباتها لله وحده ، ومعنى لا إله إلا الله جلي ، من حيث النفي والإثبات في مثله قوله ﷺ:"ليست نفس مخلوقة إلا الله خالقها" وقوله ﷺ " كان الله ولم يكن شيء غيره" وقوله ﷺ "مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله" ، ففي كل منها نفي لخصيصة من خصائص الربوبية عن غير الله وإثباتها لله وحده وهو داخل في قولك :"لا إله إلا الله" والله تعالى أعلم.

- ثانيا : ومن النفي : اعتقاد وجوب تنزيه الله عن كل صفة نقص ،وعن التمثيل أو التشبيه ، وإثبات صفات الكمال المطلق له وحده ، وقد دل عليه الكتاب والسنة:

- فمن الكتاب :

- قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ الآية ١٨٠ سورة الأعراف.
- وقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ من الآية ١١ سورة الشورى.
- وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ سورة الإخلاص .

وجه الاستدلال:

ففي جميع تلك الآيات جانبي النفي والإثبات كما في قولك : لا إله إلا الله ، ففي الآية الأولى فجانب الإثبات قوله (فادعوه بها) وجانب النفي(وذروا الذين يلحدون في أسمائه) ، وفي الثانية فقوله (ليس كمثله شيء) هذا في جانب النفي ، (وهو السميع البصير) في جانب الإثبات ، وفي الثالثة السورة نصفان ، النصف الأول " قل هو الله أحد الله الصمد) في الإثبات ، والنصف الثاني " لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد" في النفي .

- ومن السنة:

- في الصحيحين عن أبي موسى ﷺ قال كنا مع النبي ﷺ في سفر فكنا إذا علونا كبرنا فقال أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا تدعون سميعا بصيرا قريبا" [١]
- وفي البخاري عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال النبي ﷺ :"ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله يدعون له الولد ثم يعافيهم ويرزقهم"[٢]
- وفي الصحيحين عن بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت أن تضلني أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون"[٣] وهذا لفظ مسلم.
- وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال :"ذكر الدجال عند النبي ﷺ فقال:" إن الله لا يخفى عليكم ، إن الله ليس بأعور وأشار بيده إلى عينه وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية"[٤] .
- وفي الصحيحين عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال:" ما بعث الله من نبي إلا أنذر قومه الأعور الكذاب إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر"[٥]

---

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ٥٧) برقم: (٢٩٩٢) (كتاب الجهاد والسير ، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير) (بنحوه مختصرا) ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٧٣) برقم: (٢٧٠٤) (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب استحباب خفض الصوت بالذكر) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ٢٥) برقم: (٦٠٩٩) (كتاب الأدب ، باب الصبر على الأذى) (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ١١٦) برقم: (٧٣٨٣) (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى وهو العزيز الحكيم) (بمثله مختصرا) ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٨٠) برقم: (٢٧١٧) (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل) (بهذا اللفظ)

(٤) - أخرجه البخاري في "صحيحه (٤ / ١٦٦) برقم: (٣٤٣٩) (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله واذكر في الكتاب مريم) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ١٠٧) برقم: (١٦٩) (كتاب الإيمان ، باب فِي ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال) (بنحوه)

(٥) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ٧١) برقم: (٣٠٥٧) (كتاب الجهاد والسير ، باب كيف يعرض الإسلام على الصبي) (بهذا اللفظ) ، (ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٩٢) برقم: (٢٩٣١) (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر ابن صياد) (بمثله مطولا)

- وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "إن الله جميل يحب الجمال "[1]

وجه الاستدلال : جميع هذه الأحاديث ، وماجاء في معناها ، تضمنت نفي صفات النقص عن الله ، وهي متضمنة لإثبات ضدها من صفات الكمال لله وحده ، وهو معنى داخل في قولك لا إله إلا الله . والله تعالى أعلم.

---

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٦٥) برقم: (٩١) (كتاب الإيمان ، باب تحريم الكبر وبيانه) (بهذا اللفظ)

○ ثالثا: ومن النفي : اعتقاد وجوب الكفر بما يعبد من دون الله من الآلهة المزعومة ، وهذا يقتضي اعتقاد ثلاثة أمور:

- الأمر الأول: نفي الألوهية –وهي استحقاق العبادة-عن غير الله ، باعتقاد وجوب البراءة من كل معبود سوى الله واعتقاد بطلانها ، ويلزم منه في جانب الإثبات: وجوب اعتقاد أن المستحق للعبادة كلها هو الله وحده . وقد دل على ذلك الكتاب والسنة

- فمن الكتاب:

- قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ الآية٦٢ سورة الحج.
- وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الزخرف [٢٦-٢٨]
- وقوله تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ من الآية ١٩ سورة الأنعام .
- وقوله تعالى : ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ٧٥ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٧٧﴾ [الشعراء: ٧٥-٧٧]
- وقوله تعالى : ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ من الآية ٢٥٦ سورة البقرة
- وقوله تعالى : ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ من الآية ١٦ سورة الكهف

- وجه الاستدلال : أن معنى لا إله إلا الله ظاهر من حيث النفي والإثبات في تلك الآيات ،
- ففي الآية الأولى جانب إثبات الألوهية لله وحده في قوله (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ) وجانب نفيها عن غيره في قوله (وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ) ،

- وفي الثانية ، جانب النفي في قوله : ﴿ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴾ ، وجانب الإثبات ﴿ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي ﴾ ، وكذا في بقية الآيات ، وهذا كله داخل في معنى قولك: (لا إله إلا الله) والله تعالى أعلم.

- ومن السنة:

- ما جاء في في صحيح البخاري عن سعيد بن المسيب عن أبيه قصة أبي طالب وفيه :"يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله . فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل النبي ﷺ يعرضها عليه ، ويعودان بتلك المقالة ، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم : هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله " [1]

وجه الاستدلال : فتأمل أن النبي ﷺ لم يقل له "ارغب عن ملة عبدالمطلب" وإنما قال له :"قل لا إله إلا الله" فقد علم هذا الكافر وأبو جهل أنه لو قال هذه الكلمة"لا إله إلا الله" ، للزم منه اعتقاد بطلان ملة عبد المطلب والبراءة منها ، ولكنه أبى قولها لكونها تتضمن هذا المعنى ، وهو أيضا ما فهمه أبو جهل ومن كان معه.

- قوله ﷺ كما في صحيح مسلم عن أبي مالك الأشجعي ﷺ أن ﷺ قال « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله » [2]

وجه الاستدلال : أنه اشترط لعصمة ماله ودمه -مع قوله :"لا إله إلا الله"- أن يعتقد بطلان كل آلهة سوى الله وحده بأن يكفر بها. قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:" ومنها قوله ﷺ : "من قال : لا إله إلا الله وكفر بما يُعْبدُ من دون الله ، حرم ماله ودمه ، وحسابه عَلى الله" وهذا

---

(١) - سبق تخريجه .

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٣٩) برقم: (٢٣) (كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله) (بهذا اللفظ)

من أعظم ما يبين معنى "لا إله إلا الله" فإنه لم يجعل التلفُّظَ بها عاصِماً للدَّم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لَفْظها ، بل ولا الإقرارَ بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له ، بل لا يَحْرُمُ ماله ودمُه حتى يُضِيفَ إلى ذلك الكفْرَ بما يعْبُدُ من دون الله . فإن شَكَّ أو توقّفَ لم يَحْرُمْ ماله ودمُه . فيالها من مسألةٍ ما أعْظَمها وأجَلّها ، ويالَهُ من بيانٍ ما أوْضَحَهُ ، وحجّةٍ ما أقطَعَهَا للمنازع" [١] .

- وفيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال "بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان "
- وفي لفظ لمسلم" أن يعبد الله ويكفر بما دونه " [٢]

وجه الاستدلال : ففي قوله ﷺ " أن يعبد الله ويكفر بما دونه " واضح مما تقدم في حديث أبي مالك الأشجعي ﷺ فلا يكفي جانب الإثبات في إثبات الإلوهية لله وحده ، بل لابد من البراءة من جميع الآلهة التي تعبد من دون الله وهو جانب النفي وهذا هو معنى الكفر بما يعبد من دونه . والله تعالى أعلم.

---

(١) - انظر مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١٧/٦ / من كتاب التوحيد / باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله.

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٣٤) برقم: (١٦) (كتاب الإيمان ، باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بني الإسلام على خمس (بهذا اللفظ)

- الأمر الثاني: البراءة من كل عبادة تصرف لغير الله ، باعتقاد بطلانها ، فيلزم منه في جانب الإثبات : إفراد الله وحده في القصد والطلب بجميع العبادات الظاهرة والباطنة . وقد دل على ذلك الكتاب والسنة
- فمن الكتاب:
  - "قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ [الأنبياء: ٢٥]

وجه الاستدلال : فبين في هذه الآية، وأمثالها، كقوله: ﴿ أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره﴾ [المؤمنون: ٣٢] أن الإلهية، هي العبادة، فإن: الإله، هو المألوه، الذي تألهه القلوب، محبة، وتعظيماً، وتذللاً، وخضوعاً، وتوكلاً، ورغبة إليه، ورهبة، وخوفاً، ورجاءً، وغير ذلك من أنواع العبادة .

  - وقوله تعالى: ﴿ ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذي وبشير﴾ [هود: ١-٢]

وجه الاستدلال: فقوله: (ألا تعبدوا) فيه معنى: لا إله، وقوله: (إلا الله) هو المستثنى في هذه الكلمة العظيمة، وفي هذه الآيات: نفي الإلهية عما سوى الله، نفياً عاماً، بلا النافية للجنس، وأثبت الإلهية له وحده، دون كل ما سواه.

والآيات في معنى هذه الكلمة: كثيرة في القرآن:

  - قال تعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾ [الإسراء: ٢٣] فقوله: (ألا تعبدوا) نفى استحقاق العبادة لغيره، وأثبتها لنفسه بقوله: (إلا إياه). وقال تعالى:﴿أمر أن لاتعبدوا إلا إياه﴾ [يوسف: ٤٠] .
  - وأمر نبيه ﷺ أن يدعو أهل الكتاب، إلى معنى هذه الكلمة، وما تضمنته: من النفي، والإثبات، في قوله تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله﴾ [آل عمران: ٦٤] والكلمة، هي: لا إله إلا الله؛ بالإجماع، ففسرها بقوله: (سواء بيننا وبينكم) أي نكون فيها سواء، علماً، وعملاً، وقبولاً، وانقياداً،

فقال: (ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً) فنفي ما نفته: لا إله إلا الله، بقوله: (ألا نعبد) وأثبت ما أثبتته: لا إله إلا الله، بقوله: (إلا الله) ". [١]

- ومثل ذلك ماجاء في قوله تعالى: : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ [الأنبياء: ٢٥] . وقوله تعالى: ﴿ اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ .
- وقوله تعالى: ﴿ إياك نعبد ، وإياك نستعين ﴾ .
- وقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ من الآيتين ١٤ ، ١٥ الزمر

وجه الاستدلال : أن جميع هذه الآيات تقتضي إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادة دون غيره ، وهو داخل في داخل في معنى قولك (لا إله إلا الله).

- ومن السنة:

- ماجاء في الصحيحين عن معاذ بن جبل ﷺ عن النبي ﷺ قال: "هل تدري ما حق الله على عباده"؟ . قلت الله ورسوله أعلم . قال " حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا" . ثم سار ساعة ثم قال (يا معاذ بن جبل) . قلت لبيك رسول الله وسعديك قال:" هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه " . قلت الله ورسوله أعلم قال (حق العباد على الله أن لا يعذبهم " [٢]
- وفي الصحيحين عن بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما بعث معاذا ﷺ على اليمن قال:" إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس

---

(١) - انظر المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد» (ص٢٨٤): عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ .

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ٢٩) برقم: (٢٨٥٦) (كتاب الجهاد والسير ، باب اسم الفرس والحمار) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٤٣) برقم: (٣٠) (كتاب الإيمان ، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار) (بمثله.)

صلوات في يومهم وليلتهم فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم وترد على فقرائهم فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس" [١]

- وفي لفظ آخر للبخاري "فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك " [٢]
- وفي لفظ في الصحيحين "فقال ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم " [٣]
- وفي صحيح البخاري عن بن عباس رضي الله عنهما في قصة هرقل وفيه " قال ماذا يأمركم قلت يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا ... وسألتك بماذا يأمركم فزعمت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم" [٤]
- وفي صحيح البخاري عن سعيد بن المسيب عن أبيه قصة أبي طالب وفيه :"يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله. فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل ﷺ يعرضها عليه ، ويعودان بتلك المقالة ، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول لا إله إلا الله " [٥]

---

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه (٢ / ١١٩) برقم: (١٤٥٨) (كتاب الزكاة ، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٣٨) برقم: (١٩) (كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه) (بمثله)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ١١٤) برقم: (٧٣٧٢) (كتاب التوحيد ، باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله) (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ١٠٤) برقم: (١٣٩٥) (كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٣٧) برقم: (١٩) (كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه)

(٤) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ٤٥) برقم: (٢٩٤٠) (كتاب الجهاد والسير ، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام) (بهذا اللفظ)

(٥) - سبق تخريجه

- وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :"كان ﷺ بارزا يوما للناس فأتاه جبريل فقال ما الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث قال ما الإسلام قال الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان" (١)
- وفي صحيح البخاري عن أبي أيوب ﷺ:" أن رجلا قال لرسول الله ﷺ أخبرني بعمل يدخلني الجنة قال ماله ماله وقال ﷺ أرب ماله ، تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصل الرحم" (٢)
- وفي صحيح مسلم عن عمرو بن عبسة السلمي ﷺ وفيه " فقلت وبأي شيء أرسلك قال أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله لا يشرك به شيء" (٣)

وجه الاستدلال : جميع هذه الأحاديث اقتضت إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادة دون غيره كما قولهﷺ (أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا) وقوله (وأن يوحد الله لا يشرك به شيء) وعم الرسول ﷺ قد وجد عنده الإثبات دون النفي فلم ينفعه ذلك ، وكل ذلك داخل في معنى قولك (لا إله إلا الله) والله تعالى أعلم.

---

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٩) برقم: (٥٠) (كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٣٠) برقم: (٩) (كتاب الإيمان ، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله) (بمثله مطولا.)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ١٠٤) برقم: (١٣٩٦) (كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٣٢) برقم: (١٣) (كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة) (بنحوه مطولا.)

(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٢ / ٢٠٨) برقم: (٨٣٢) (كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب إسلام عمرو بن عبسة) (بهذا اللفظ)

- **الأمر الثالث:** البراءة من أهل الشرك باعتقاد كفرهم وبطلان ملتهم ، ووجوب بغضهم وعداوتهم ، فيلزم منه في جانب الإثبات: اعتقاد وجوب تولي ملة التوحيد وأهلها ، بنصرتهم ومحبتهم ، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة: [1] .

- فمن الكتاب : جميع الآيات المتقدمة في الأمر الأول ، فإن البراءة من المعبود تتضمن البراءة من العابد لغير الله. وأما ماورد بخصوص ذلك فآيات منها:

- قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ من الآية ٤ سورة الممتحنة .

- وقوله تعالى: ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ الآية ٤٨ سورة مريم .

- وقول فتية الكهف كما في قوله تعالى : ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ من الآية ١٦ سورة الكهف

وجه الاستدلال : فجميع هذه الآيات تضمنت وجوب البراءة من كل عابد لغير الله وهو جانب النفي ، وأثبتت التولي الكامل لله وحده :

- ففي الآية الأولى: جانب النفي يتمثل في قوله تعالى: (إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا) وجانب الإثبات (حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ) .

---

(١) - قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله-:"أصل دين الإسلام، وقاعدته أمران:

- الأول: ١-الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، ٢-والتحريض على ذلك، ٣-والموالاة فيه، ٤-وتكفير من تركه .
- الثاني: ١-الإنذار عن الشرك في عبادة الله ٢-والتغليظ في ذلك ٣- والمعاداة فيه ٤- وتكفير من فعله .

- والآية الثانية جانب النفي في قوله (وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) وجانب الإثبات في قوله (وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى) .
- وفي الثالثة جانب النفي في قوله (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ) وجانب الإثبات في قوله (إلا الله) ،

ففي تلك الآيات الثلاث براءة من العابد والمعبود معا ، وإثباتها لله وحده ولمن والاه. ، وكل ذلك داخل في معنى قولك: (لا إله إلا الله).

- أما أدلة السنة فمن ذلك :
- في البخاري حديث أبي طالب عم رسول الله ﷺ المتقدم وفيه دليل على وجوب البراءة من ملة عبد المطلب[1].
- وفي مسلم حديث أبي مالك الأشجعي ﷺ المتقدم وفيه قوله "من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله »[2] "
- ومثله حديث ابن عمر رضي الله عنهما كما في صحيح مسلم " أن يعبد الله ويكفر بما دونه " [3] فعموم قوله ﷺ" وكفر بما يعبد من دون الله" وقوله ﷺ " ويكفر بما دونه" يشمل الكفر بالعابد والمعبود.
- ويدخل في هذا الأمر من معان النفي وهو: " البراءة من من أهل الشرك " البراءة من كل دين سوى الإسلام وقد دل على ذلك آيات كثيرة منها:
- كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الآية ٨٥ سورة آل عمران.
- وقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ ﴾ [المائدة: ١٧]

---

(١) - سبق تخريجه

(٢) – سبق تخريجه

(٣) - سبق تخريجه

- وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ [المائدة: ٧٣]
- وقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآياتان ٦٧،٦٨ من سورة آل عمران.
- وقوله تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ . الآية ٩٥ من سورة أل عمران
- وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الآية ١٢٣ من سورة النحل .
- وفي معنى تلك الآيات قوله ﷺ كما جاء في صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ « وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِى أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِىٌّ وَلاَ نَصْرَانِىٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ». (١)

- كل ما تقدم هو داخل في جانب النفي .
- وأما في جانب الإثبات: فوجوب تولي الله ورسوله والمؤمنين ، ويدل على ذلك آيات منها :

- قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]
- وقوله تعالى : ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨]
- وقوله تعالى : ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٩٣) برقم: (١٥٣) (كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته)

مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]

- فهذه خمس معان تضمنها ركن النفي من حيث التفصيل ، وهي ثلاثة عند الإجمال . والله تعالى أعلم .

❖ **المسألة الثالثة:** أدلة الركن الثالث : الإثبات.

وهو أن تثبت لله وحده جميع ما نفيته في ركن النفي عن غير الله ، فاعتقاد ما جاء في النفي ، يلزم منه اعتقاد ما جاء في الإثبات ، من الأمور الثلاثة إجمالا ، أو الخمسة تفصيلا ، فتجعلها لله وحده فيتضمن ذلك اعتقاد خمسة أمور:

١. إثبات الربوبية لله وحده باعتقاد أنه وحده الخالق والمالك والمدبر.

٢. إثبات الكمال المطلق لله وحده في ذاته وأسمائه وصفاته.

٣. إثبات الألوهية لله وحده باعتقاد أنه الإله المستحق لجميع أنواع العبادة .

٤. إفراد الله وحده في القصد والطلب بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة .

٥. إثبات الولاية لله ولرسوله والمؤمنين ، ونصرتهم بتولي التوحيد وأهله .

وأدلة ركن الإثبات هي أدلة ركن النفي سواء بسواء ، وما يخص الإثبات وحده تقدم ذكره معها.

والله تعالى أعلم .

❖ **المسألة الرابعة:** أدلة الركن الرابع: المتابعة .

ويتضمن هذا الركن وجوب اعتقاد أربعة أمور:

- **الأمر الأول :** اعتقاد أن محمدا هو رسول الله حقا ، واعتقاد صدقه بكل ما أخبر ، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة :

- فمن الكتاب:

- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧]

- وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الشورى: ٢٤]

- وقوله تعالى : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ﴾ [الأنعام: ٩١-٩٣]

- وقوله تعالى : ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩]

- وقوله تعالى : ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦]

- ومن السنة :

- ماجاء في الصحيحين عن بن عباس رضي الله عنهما كمافي قصة هرقل"وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله" [١] .
- وفي الصحيحين عن بن عباس رضي الله عنهما وفيه:" فقال:أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل ، أكنتم مصدقي ؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبا. قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد" [٢] .
- وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال انطلق سعد بن معاذ معتمرا قال فنزل على أمية بن خلف أبي صفوان وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمر بالمدينة نزل على سعد فقال أمية لسعد انتظر حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت فبينا سعد يطوف إذا أبو جهل فقال من هذا الذي يطوف بالكعبة فقال سعد أنا سعد فقال أبو جهل تطوف بالكعبة آمنا وقد آويتم محمدا وأصحابه فقال نعم فتلاحيا بينهما فقال أمية لسعد لا ترفع صوتك على أبي الحكم فإنه سيد أهل الوادي ثم قال سعد والله لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعن متجرك بالشام قال فجعل أمية يقول لسعد لا ترفع صوتك وجعل يمسكه فغضب سعد فقال دعنا عنك فإني سمعت محمدا صلى الله عليه وسلم يزعم أنه قاتلك قال إياي قال نعم قال والله ما يكذب محمد إذا حدث فرجع إلى امرأته فقال أما تعلمين ما قال لي أخي اليثربي قالت وما قال قال زعم أنه سمع محمدا يزعم أنه قاتلي قالت فوالله ما يكذب محمد قال فلما خرجوا إلى بدر وجاء الصريخ قالت له امرأته أما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربي قال فأراد أن لا يخرج فقال له أبو جهل إنك من أشراف الوادي فسر يوما أو يومين فسار معهم فقتله الله" [٣] .

---

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٨) برقم: (٧) (بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٥ / ١٦٣) برقم: (١٧٧٣) (كتاب الجهاد والسير ، باب كتاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام) (بنحوه) .

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦ / ١٧٩) برقم: (٤٩٧١) (كتاب تفسير القرآن ، باب قوله وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ١٣٤) برقم: (٢٠٨) (كتاب الإيمان ، باب فِي قوله تَعَالَى وأنذر عشيرتك الْأَقربين) (بمثله مطولا.)

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ٢٠٥) برقم: (٣٦٣٢) (كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام) (بهذا اللفظ)

- وجه الاستدلال: جميع الآيات والأحاديث المتقدمة تدل على أنه رسول الله حقا ، وتدل على صدقه ، وأن الصدق سمة من سماته التي عرف بها حتى قبل البعثة. ولذا درج الصحابة رضي الله تعالى عنهم بوصفه الصادق ومن ذلك :
- ما جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال سمعت الصادق المصدوق " [1] .
- وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق " [2]

---

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٩٩) برقم: (٣٦٠٥) (كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٨٦) برقم: (٢٩١٧) (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت) (بمعناه.)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١١١) برقم: (٣٢٠٨) (كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٤٤) برقم: (٢٦٤٣) (كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي فِي بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته) (بنحوه.)

- **الأمر الثاني : اعتقاد وجوب الطاعة لرسول الله ﷺ بامتثال أمره واجتناب نهيه وقد دل على وجوب ذلك الكتاب والسنة:**

- **فمن الكتاب آيات كثيرة منها:**

- **قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ الآية٣٢ سورة آل عمران.**
- **وقوله تعالى : ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ الآية ٨٠ سورة المائدة.**
- **وقوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الآية ٧ سورة الحشر.**

وجه الاستدلال : في غاية الوضوح: فقد ارتبطت طاعة الله بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم كارتباط الأركان ببعضها، والماهية لا تقوم بدون جزئها.

- **ومن السنة:**

- **في البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن ﷺ قال:" كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا يا رسول الله ومن يأبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى" [1]**
- **وفي البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال:"** جاءت ملائكة النبي ﷺ وهو نائم فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم أن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا إن لصاحبكم هذا مثلا فاضربوا له مثلا فقال بعضهم إنهم نائمون وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا إن مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا أولوها له يفقهها فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا فالدار

---

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ٩٢) برقم: (٧٢٨٠) (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم) (بهذا اللفظ)

الجنة والداعي محمد ﷺ فمن أطاع محمدا ﷺ فقد أطاع الله ومن عصى محمدا ﷺ فقد عصى الله ومحمد ﷺ فرْق بين الناس" [١]

- وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أن ﷺ قال :"دعوني ما تركتكم إنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم" وفي لفظ لمسلم "ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه" [٢]

وجه الاستدلال: أن جميع الآيات والأحاديث المتقدمة تدل على وجوب طاعته بامتثال أمره واجتناب نهيه.

---

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ٩٣) برقم: (٧٢٨١) (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ٩٤) برقم: (٧٢٨٨) (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (٤ / ١٠٢) برقم: (١٣٣٧) (كتاب الحج ، باب فرض الحج مرة فِي العمر) (بنحوه مطولا.)

- **الأمر الثالث: اعتقاد وجوب محبته وتوقيره ، وقد دل على ذلك عموم ما تقدم من الأدلة ، وأيضا:**

- **من الكتاب :**

- قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾ [الفتح: ٨-٩]
- وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]
- وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣ ﴾ [الحجرات: ٢-٣]
- وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٦٢ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ ﴾ [النور: ٦٢-٦٣]

وجه الاستدلال: أن عموم تلك الآيات وما جاء في معناها : تدل على وجوب محبته وتوقيره.

- **ومن السنة :**

- فيهما عن أنس بْنِ مَالِكٍ ﷺ عن النبيﷺ قَالَ ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ" [1]

---

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٢) برقم: (١٦) (كتاب الإيمان ، باب حلاوة الإيمان) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٤٨) برقم: (٤٣) (كتاب الإيمان ، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان) (بمثله).

- وفيهما عَنْ أَنَسٍ ﷺقَالَ النَّبِيُّﷺ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ " ولفظ مسلم " حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ" (١)
- وفي مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍﷺ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ قَالَ وَمَا أَعْدَدْتَ لِلسَّاعَةِ قَالَ حُبَّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ قَالَ فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ قَالَ أَنَسٌ فَمَا فَرِحْنَا بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَرَحًا أَشَدَّ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّﷺفَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ قَالَ أَنَسٌ فَأَنَا أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِأَعْمَالِهِمْ" (٢)
- وفي البخاري عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هِشَامٍ ﷺ قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّﷺ لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّﷺ الْآنَ يَا عُمَرُ" (٣)

وجه الاستدلال: أن تلك النصوص تدل على وجوب محبته وتقديمه على جميع المحاب الدنيوية من المال والأهل والولد .

- وفي قصة صلح الحديبية كما جاءت في البخاري عن الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ بن الحكم رضي الله عنهما يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ قَالَا :أن عُرْوَةُ بن مسعود لما جاء للنبي ﷺ من أجل ثنيه عن القدوم لمكة فذكرا الحديث وفيه :" ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النبيﷺ بِعَيْنَيْهِ قَالَ فَوَاللَّهِ مَا تَنَخَّمَ رسول الله ﷺ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ أَيْ قَوْمِ وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍﷺمُحَمَّدًا وَاللَّهِ إِنْ

---

(١) - أخرجه البخاري في"صحيحه"(١ / ١٢)برقم:(١٥)(كتاب الإيمان ، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان)(بهذا اللفظ)ومسلم في "صحيحه"(١ / ٤٩)برقم:(٤٤)(كتاب الإيمان ، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين)(بمثله).

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٥ / ١٢) برقم: (٣٦٨٨) (كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٤٢) برقم: (٢٦٣٩) (كتاب البر والصلة والآداب ، باب المرء مع من أحب) (بنحوه مختصرا).

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١٢٩) برقم: (٦٦٣٢) (كتاب الأيمان والنذور ، باب كيف كانت يمين النبي) (بهذا اللفظ)

تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ"[1]

وجه الاستدلال: في هذا الحديث دليل ظاهر على توقير الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ ، وتعظيمهم له .

[1] -أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣ / ١٩٣) برقم: (٢٧٣١) (كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد) (بهذا اللفظ)

- **الأمر الرابع :** اعتقاد وجوب الاقتداء به في كل عبادة ، فلا يعبد الله إلا بما شرع ، ودل على ذلك الكتاب والسنة :

- فمن الكتاب :

- قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ الآية ٢١ سورة الأحزاب .
- وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ الآية ٣٦ سورة النساء
- وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ الآية ٥١ سورة النور
- قوله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ الآية ٦٥ سورة النساء
- وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ الآيتان ٣١، ٣٢ سورة آل عمران.

- **ومن السنة:**

- ما جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن ﷺ قال:"من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد" [١]
- وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن ﷺ قال:" من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد" [٢]
- وكان النبي ﷺ يقول في خطبة الجمعة كما في مسلم عن جابر رضي الله عنه :" وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة " [٣] وفي لفظ " وكل ضلالة في النار" [٤]
- في مسلم عن جابر رضي الله عنه أن ﷺ قال:" لتأخذوا مناسككم" [٥]
- وفي البخاري عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :" صلوا كما رأيتوني أصلي" [٦]
- وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:" من رغب عن سنتي فليس مني " [٧]

---

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣ / ٦٩) برقم: (٢١٤٢) (كتاب البيوع ، باب النجش) (بهذا اللفظ معلقا تعليقا مجزوما به) ، ومسلم في "صحيحه" (٥ / ١٣٢) برقم: (١٧١٨) (كتاب الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور بلفظه.

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣ / ١٨٤) برقم: (٢٦٩٧) (كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (٥ / ١٣٢) برقم: (١٧١٨) (كتاب الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور) (بمثله.)

(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٣ / ١١) برقم: (٨٦٧) (كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة) (بهذا اللفظ)

(٤) - أخرجه ابن الجارود في "المنتقى" (١ / ١١٨) برقم: (٣٢٦) (باب الجمعة ،) ، وابن خزيمة في "صحيحه" (٣ / ٢٦٣) برقم: (١٧٨٥) (كتاب الجمعة ، باب صفة خطبة النبي وبدؤه فيها بحمد الله والثناء عليه) (بهذا اللفظ) وابن حبان في "صحيحه" (١ / ١٨٦) برقم: (١٠)

(٥) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٤ / ٣٥) برقم: (١٢١٣) (كتاب الحج ، باب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز إفراد الحج والتمتع والقران) (بلفظه.)

(٦) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٢٨) برقم: (٦٣١) (كتاب الأذان ، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة وكذلك بعرفة وجمع) (بهذا اللفظ)

(٧) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧ / ٢) برقم: (٥٠٦٣) (كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (٤ / ١٢٩) برقم: (١٤٠١) (كتاب النكاح ،)

- وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" صنع النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فرخص فيه ، فتنزه عنه قوم ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فخطب فحمد الله ، ثم قال: مابال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه ،فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية. "[1]

وجه الاستدلال: أن جميع الآيات والأحاديث المتقدمة تدل على وجوب الاقتداء به في أقواله وأفعاله وتقريراته ، وأن عبادة الله لا تصح إلا على وفق سنته ، وأن من عمل على خلاف سنته فعمله مردود عليه . والله تعالى أعلم .

---

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ٢٦) برقم: (٦١٠١) (كتاب الأدب ، باب من لم يواجه الناس بالعتاب) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٧ / ٩٠) برقم: (٢٣٥٦) (كتاب الفضائل ، باب علمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالله تَعَالَى وشدة خشيته) (بمعناه.)

المقدمة الثالثة في بيان

شروط الشهادتين

وفيها ثمان مسائل :

❖ المسألة الأولى : للشهادتين ثمانية شروط دل عليها الاستقراء وهي : العلم ، والمحبة ، والقبول ، واليقين ، والصدق ، والإخلاص ، والانقياد ، والعمل بالجوارح .

❖ المسألة الثانية : الشروط للشهادتين معا :

من المهم التنبيه على أن كل شرط من هذه الشروط لازم للشهادتين معا ، وقد درج العلماء على الاكتفاء بذكرها كشروط للإله إلا الله فقط ، دون كونها شروطا -أيضا- للشهادة بأن محمدا رسول الله ؛ لأن ذلك عندهم هو تحصيل حاصل ، من جهة أن الشهادة بأنه لا إله إلا الله تتضمن الجزء الثاني المتمثل في الشهادة لمحمد ﷺ أنه رسول الله كما تقدم.

ولكن التنصيص على كون هذه الشروط شروطا للشهادتين معا - وذكر الأدلة الدالة على ذلك- أولى ؛ لدفع التوهم بأن هذه الشروط مختصة بالجزء الأول من ركن الشهادتين فحسب، ومن المعلوم أن الأحاديث التي جاء فيها الوعد بدخول الجنة بقول إحداهما دون الأخرى شاملة لهما معا ؛ لإن إحدى الشهادتين تعم الأخرى عند الانفراد، وعند الاجتماع لكل منهما معنى كالإسلام والإيمان، فشهادة لا إله إلا الله -إذا انفردت-، تتضمن الشهادة بأن محمدا رسول الله، وشهادة أن محمدا رسول الله -إذا انفردت- تتضمن الشهادة بأنه لا إله إلا الله ، كما تقدم تقريره.

والله تعالى أعلم.

❖ **المسألة الثالثة :** الترتيب الموضوعي للشروط (وهو محل نظر واجتهاد)

١. العلم

٢. قبول (الرضا)

٣. المحبة

٤. اليقين

٥. الصدق

٦. الإخلاص

٧. الانقياد

٨. العمل بموجب هذه الشروط .

بعد تأمل وجدت بأن الترتيب الأمثل يبدأ بالعلم فإذا وجد العلم حصل القبول ، فإذا تحققت المحبة تحقق اليقين ، فيقولها صادقا ، ويخلص فيها لله ، فيترتب على ذلك الانقياد لمقتضاها ثم العمل بموجباتها ، وقد يقال غير ذلك والله تعالى أعلم.

❖ **المسألة الرابعة:** الحد الأعلى والحد الأدنى لكل شرط .

كل شرط من هذه الشروط ليس له حد أعلى ينتهى إليه. ، فليس هناك حد أعلى للعلم، ولا للصدق، ولا للإخلاص، وكذلك بقية الشروط كما سيأتي توضيح ذلك في كل شرط.

والمعنى: أن الناس يتفاوتون في مقدار العلم، والإخلاص ،والصدق، واليقين، والعمل ، وهذا التفاوت بسبب تفاوت المؤمنين في تحقيق تلك الشروط، فبقدر ما وجد عندهم من العلم واليقين والصدق. .. بقدر ما يوجد التفاوت بينهم، وإذا كان الأنبياء في حاجة إلى أن يزدادوا علما وصدقا ويقينا وإخلاصا، فكيف بغيرهم؟ فقد قال تعالى لنبيه ﷺ ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ من الآية ١٩ سورة محمد، وقد نزلت بعد الهجرة، فالعلم بهذه الكلمة لا يتناهى، ، واليقين يزيد بلا نهاية، والصدق ، والإخلاص كذلك ، وهكذا بقية الشروط.

وهذا أشبه بقولهم الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فالزيادة في الإيمان ليس لها حدود. وكذلك معاني تلك الشروط فالزيادة فيها بلا حدود.

ولكن كل شرط من تلك الشروط له حد أدنى وهو الضروري منه. فأدنى العلم هو الذي يمنع من الوقوع في ناقض من نواقض الإسلام. وأدنى الصدق، أن يكون صادقا في قول الشهادتين، وأدنى الإخلاص أن لا يقع في الشرك الأكبر، وأدنى اليقين، أن لا يقع عنده شك في شيء من أركان الإيمان، وأدنى العمل بالجوارح أن لا يقع في ترك جنس العمل ، أو ترك ما يترتب على تركه الكفر كترك الصلاة على قول من قال بكفره ، وهكذا بقية الشروط. فلابد أن يوجد الحد الأدنى من كل شرط من هذه الشروط عند كل مسلم، فإذا لم يوجد الحد الأدنى من كل شرط فقد الإسلام. والله تعالى أعلم .

❖ المسألة الخامسة : تعلق الشروط .

لابد أن نتنبه بأن هذه الشروط تتعلق بـ: ١-نفس الكلمة ٢-وبما تقتضيه من عمل. فقد تتوفر هذه الشروط من العلم، والصدق، واليقين والإخلاص، والمحبة والقبول والانقياد عند قول الشهادتين فيصح الإسلام، فإذا طبق حقوق الشهادتين فلا يخلوا: إذا أتى بناقض من نواقض الإسلام فهذا راجع لفقد الحد الأدنى لشرط من هذه الشروط، وإن أتى بمعصية دون الكفر فلأن تحقيق هذه الشروط عنده كان تحقيقا ناقصا.

❖ **المسألة السادسة :** فقدان شرط من الشروط يبطل بقيتها.

جميع هذه الشروط مترابطة، فإذا ما فقد واحد منها ترتب عليه إبطال جميع الشروط ، ولو وجد بعضها. فلابد منها جميعا لتحقيق الأركان :

- ١- فلو أوجد جميع الشروط، وفقد شرط العلم فكأنما فقدها جميعا.
- ٢- وكذلك يلزم من فقدان الصدق فقدان بقية الشروط . وهكذا بقية الشروط ؛

فقد يصدق، ولكنه لا يخلص لله ،وقد يصدق، ويخلص ولكنه لا يوقن، وقد يوجد الإخلاص والصدق، لكن ذلك في تصوره بسبب جهله وفقده لشرط العلم، وقد يوجد التصديق القلبي واليقين، ولكنه لا يقبل به كما في قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ الآية ١٤ النمل، وقوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ الآية ٣٣ الأنعام.

والمقصود بفقدان الشرط ، هو فقدان الحد الأدنى منه- كما سيأتي توضيحه عند كل شرط -، وهو الحد الذي يكون فقده ناقضا من نواقض الإسلام ، فمن فقد الحد الأدنى من أي شرط ، فكأنما فقد بقية الشروط. والله تعالى أعلم.

❖ **المسألة السابعة:** لا تصح العقيدة ولا العمل إلا بصحة الشروط :

هذه الشروط شرط لصحة الاعتقاد والعمل، فكيف يوجد الاعتقاد الصحيح مع الجهل به ؟ أو مع بغض شيء من أوامر الله ؟ أو رد شيء منها ؟ وكيف يصح العمل مع فقد شرط واحد من شروطها ؟ فإذا لم يعلم الحد الأدنى من كل شرط، أو لم يقبل شيئا منها، أو عُدم الصدق، أوعدم الإخلاص، أو عدم اليقين ؛ فكيف يمكن أن يكون إيمانه صحيحا ؟

❖ **المسألة الثامنة :** أركان الشهادتين وشروطهما مرتبطة بالاعتقاد القلبي.

وقد تقدمت الإشارة لذلك ، وسيأتي مزيد بيان في المقدمة الخامسة عند الحديث عن شرط العمل بالجوارح .

والمقصود أن أركان الشهادتين وجميع الشروط المتقدمة-باستثناء شرط العمل المتعلق بعمل الجوارح- ارتباطها بالاعتقاد كارتباط الروح بالجسد ، فشرط العلم على سبيل المثال: يتضمن أمرين: (المعرفة الحسية، سمع، بصر) ،والمعرفة القلبية التي يلزم منها العمل بموجب تلك المعرفة الحسية ، فالعلم المقصود في هذا الشرط هو: عمل القلب إذا استجاب للمعرفة النظرية(الحسية) المتمثلة في السمع والبصر . والقبول ليس هو القبول الظاهر، بل هو قبول القلب وهو متضمن للرضا، والانقياد ليس هو الانقياد الظاهر، بل هو انقياد القلب، وهكذا بقية الشروط. (فالقبول، والانقياد، والصدق، واليقين، والمحبة)، إما مجرد دعوى نظرية كاذبة، وإما عمل قلبي يستجيب للأصول التي لابد منها ، وهو الحد الأدنى من كل شرط، ويجاهد نفسه على ما زاد عن الحد الأدنى.

والحد الأدنى متعلق بعمل القلب _وهو الاعتقاد- فالمراد بتلك الشروط أن تتعلق بالقلب فالمراد بالعلم ، والصدق ، واليقين ، والإخلاص ، والمحبة : العلم القلبي والصدق القلبي، واليقين القلبي، والإخلاص القلبي ؛ والمحبة القلبية ، وهكذا بقية الشروط ؛ لأن هذه الشروط تتعلق بالقلب ، كما تقدم تقريره. والله تعالى أعلم.

المقدمة الرابعة

في بيان

أدلة شروط الشهادتين والحد الأدنى والحد الأعلى لكل شرط

وفيها سبع مسائل:

❖ المسألة الأولى : أدلة شرط العلم .

وقد دل على هذا الشرط الكتاب والسنة :

- فمن الكتاب:
  - قوله تعالى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ من الآية ١٩ سورة محمد

وجه الاستدلال : قال الإمام البخاري رحمه الله: "باب العلم قبل القول والعمل"، واستشهد بهذه الآية الكريمة. قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله في فتح الباري: [١/١٩٣] قوله : (باب العلم قبل القول والعمل) قال ابن المنير : أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل ، فلا يعتبران إلا به ، فهو متقدم عليهما ؛ لأنه مصحح للنية المصححة للعمل ، فنبه المصنف على ذلك حتى لا يسبق إلى الذهن من قولهم : " إن العلم لا ينفع إلا بالعمل " تهوين أمر العلم والتساهل في طلبه . قوله : (فبدأ بالعلم) أي : حيث قال : { فاعلم أنه لا إله إلا الله } ثم قال { واستغفر لذنبك } والخطاب وإن كان للنبي - صلى الله عليه وسلم - فهو متناول لأمته " أهـ.

قلت : وفيه دليل على أن المعرفة المجردة ليست علما.

وفيه أيضا دليل على أن العلم بهذه الكلمة العظيمة لاحد له ؛ لأن النبي ﷺ قد أمر بأن يعلم بهذه الكلمة ، والمعنى أن يزداد علما بها، وقد جاء في البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال :" إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا" (١)

وإذا كان النبي ﷺالذي هو أعلم الناس بالله ، في حاجة إلى أن يزداد علما بذلك ، فغيره من باب أولى . والله تعالى أعلم .

- وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ الآية ٨٦ سورة الزخرف ، أي بلا إله ألا الله وهم يعلمون بقلوبهم معنى ما نطقوا به بألسنتهم .

وجه الاستدلال: قال بن كثير -رحمه الله-في تفسيره (٧/ ٢٢٣) :"إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ هَذَا اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ. أَيْ لَكِنْ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ عَلَى بَصِيرَةٍ وَعِلْمٍ، فَإِنَّهُ تَنْفَعُ شَفَاعَتُهُ عنده بإذنه له". وقال شيخ الإسلام -رحمه الله في الرد على الإخنائي (ص: ٣٥٠) عن الآية :" فيه قولان: أصحهما أنه استثناء منقطع، أي لكن من شهد بالحق تنفعه الشفاعة وتنفع شفاعته كقوله ﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾ [سورة الأنبياء: (٢٣)]. وقال ﴿ قل لله الشفاعة جميعًا﴾ [سورة الزمر: (٤٤)] وقوله تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ "اهـ.

أما أدلة هذا الشرط من السنة فمنها :

- في صحيح مسلم :عن عثمان ﷺ قال النبي ﷺ:" من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة" (٢)

---

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٣) برقم: (٢٠) (كتاب الإيمان ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم أنا أعلمكم بالله) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٤١) برقم: (٢٦) (كتاب الإيمان ، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار) (بهذا اللفظ)

وجه الاستدلال : قوله :" وهو يعلم" ومن المعلوم قطعا أن ذلك لا يعني مجرد المعرفة التي تخلو من الاعتقاد والعمل .

- وفيهما عن أنس ﷺعن النبي ﷺ أنه قال:" العبد إذا وضع في قبره وتولي وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا من الجنة قال ﷺ فيراهما جميعا وأما الكافر أو المنافق فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين " [1]

وجه الاستدلال : قال الحافظ بن حجر-رحمه الله تعالى- في الفتح [٣/٢٨٤]: "وفيه ذم التقليد في الاعتقادات ، لمعاقبة من قال كنت أسمع الناس يقولون شيئا فقلته"

- ولتحقيق شرط العلم قسمان :

- القسم الأول: العلم الضروري وهو: الحد الأدنى من العلم الذي لابد أن يوجد عند كل مسلم: بأن يعلم معنى الشهادتين وما تضمنته كل منهما من المعاني والعقائد ، وأن إحداهما لا تقوم إلا بالأخرى ؛ فهذا علم ضروري لابد منه لكل مسلم، فإن قالهما جاهلا بهما ، وكان الجهل سببا في فعل ما ينقضهما ، أو قالهما عالما بمقتضياتهما، ثم أتى بما ينقضهما لم تنفعاه .فالمخالفة في هذا القسم تنافي الإيمان كله ، فهو الحد الأدنى من العلم.
- القسم الثاني : علم تكميلي للقسم الأول وتحقيقه يدل على كمال الإيمان ، ومخالفته تنافي كمال الإيمان الواجب ، فتكون المخالفة في هذا القسم من قبيل المنافاة الجزئية لهذا الشرط: وذلك ، بأن يعلم تفاصيل حقوق الشهادتين ،وأن يعلم جميع ما أمر به وما نهي عنه فيما يتعلق بحقوقهما

---

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ٩٠) برقم: (١٣٣٨) (كتاب الجنائز ، باب الميت يسمع خفق النعال) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٦١) برقم: (٢٨٧٠) (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه) (بنحوه مختصرا.)

، وأن لا يعمل بخلاف علمه كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ الآية ١٣٥ سورة آل عمران . وهذا القسم يتفاوت فيه الناس ويختلفون فيه بحسب علم الشخص . والعلم من حيث هو علم لاحد له كما قال تعالى ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ الآية ١٠٩ سورة الكهف (١٠٩) ، وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الآية ٢٧ سورة لقمان ومعرفة تفاصيل ذلك كله غير ممكنة حتى للأنبياء:

- ففي البخاري في قصة الخضر وفيه :" وَوَقَعَ عُصْفُورٌ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ ، فَغَمَسَ مِنْقَارَهُ الْبَحْرَ ، فَقَالَ الْخَضِرُ لِمُوسَى: مَا عِلْمُكَ وَعِلْمِي وَعِلْمُ الْخَلَائِقِ فِي عِلْمِ اللهِ ، إِلَّا مِقْدَارُ مَا غَمَسَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنْقَارَهُ " (١)

فالتحقيق التام لشرط العلم يكون بمحاولة الوصول إلى ما يمكن الوصول إليه من كمال العلم بهذين القسمين ، وهو درجات ليس لها حد ، والعلم الناقص من قصر في القسم الثاني إذا أوقعه الجهل في مخالفة شرعية بترك واجب أو فعل محرم ، أما التقصير في القسم الأول فهو فقدان لهذا الشرط بالكلية .

فالعلم التام درجاته كثيرة جدا، وليس لتمامه حد ، ولكن الكمال في العلم هو : الذي يمنع من الوقوع في المخالفات الشرعية ، بفعل الواجب وترك المحرم ، وأكمل منه من فعل الواجب والمندوب ، وترك المحرم والمكروه ، وهو درجات ، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا

---

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه (٦ / ٨٩) برقم: (٤٧٢٦) (كتاب تفسير القرآن ، باب قوله فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا مذهبا يسرب يسلك ومنه وسارب بالنهار) (بهذا اللفظ)

فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ الآية ٣٢ سورة فاطر ، فأكثرنا ظالم لنفسه ، وأقلنا المقتصد ، وأندر منه السابق بالخيرات .

والله تعالى أعلم .

❖ المسألة الثانية : أدلة شرط القبول.

ودل على هذا الشرط الكتاب والسنة:

- فمن الكتاب :

- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ الآية ٥٣ سورة القصص
- وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ الآية ٨٣ سورة المائدة

- وجه الاستدلال: في هاتين الآيتين وماجاء في معناهما معنى القبول لفظا ومعنى . والتوحيد هو لب رسالة الرسل وما أنزل في الكتب . ومن الناس من لم يقبل بذلك ، أو قبل بعضا دون بعض كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴾ الآيتان ٣٥، ٣٦ سورة الصافات.
- وقوله تعالى﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ الآيتان ١٥٠ن ١٥١ سورة النساء ،
- وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ من الآية ٨٩ سورة البقرة .

- ومن السنة:

- في الصحيحين عن أبي موسى ﷺعن النبي ﷺ قال:"مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى أنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت

كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به" [١]

- وفي البخاري عن أبي موسى عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ مَثَلُ المسلمينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ قَوْمًا يَعْمَلُونَ لَهُ عَمَلًا يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ عَلَى أَجْرٍ مَعْلُومٍ فَعَمِلُوا لَهُ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ فَقَالُوا لَا حَاجَةَ لَنَا إِلَى أَجْرِكَ الَّذِي شَرَطْتَ لَنَا وَمَا عَمِلْنَا بَاطِلٌ فَقَالَ لَهُمْ لَا تَفْعَلُوا أَكْمِلُوا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمْ وَخُذُوا أَجْرَكُمْ كَامِلًا فَأَبَوْا وَتَرَكُوا وَاسْتَأْجَرَ أَجِيرَيْنِ بَعْدَهُمْ فَقَالَ لهما أَكْمِلَا بَقِيَّةَ يَوْمِكُمَا هَذَا وَلَكُمَا الَّذِي شَرَطْتُ لَهُمْ مِنْ الْأَجْرِ فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا كَانَ حِينُ صَلَاةِ الْعَصْرِ قَالَا لَكَ مَا عَمِلْنَا بَاطِلٌ وَلَكَ الْأَجْرُ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا فِيهِ فَقَالَ لهما أَكْمِلَا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمَا مَا بَقِيَ مِنْ النَّهَارِ شَيْءٌ يَسِيرٌ فَأَبَيَا وَاسْتَأْجَرَ قَوْمًا أَنْ يَعْمَلُوا لَهُ بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ فَعَمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ حَتَّى غَابَتْ الشَّمْسُ وَاسْتَكْمَلُوا أَجْرَ الْفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا فَذَلِكَ مَثَلُهُمْ وَمَثَلُ مَا قَبِلُوا مِنْ هَذَا النُّورِ" [٢]

- والقبول يتضمن معنى قلبيا وهو : الرضا :

- ففي مسلم عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِىَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً » [٣] .
- وفي مسلم عن أبي سعيد الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ النبي ﷺ قَالَ يَا أَبَا سَعِيدٍ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ" [٤]

---

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٢٧) برقم: (٧٩) (كتاب العلم ، باب فضل من علم وعلم) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (٧ / ٦٣) برقم: (٢٢٨٢) (كتاب الفضائل ، باب بيان مثل ما بعث به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الهدى والعلم) (بمثله.)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١١٦) برقم: (٥٥٨) (كتاب مواقيت الصلاة ، باب من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب) (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٤٦) برقم: (٣٤) (كتاب الإيمان ، باب ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا) (بهذا اللفظ)

(٤) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٦ / ٣٧) برقم: (١٨٨٤) (كتاب الإمارة ، باب بيان ما أعده الله تَعَالَى للمجاهد فِي الجنة) (بهذا اللفظ)

- ولتحقيق شرط القبول قسمان :

- القسم الأول : قبول ضروري وهو الحد الأدنى من القبول الذي لابد أن يوجد عند كل مسلم: بأن يقبل ما تقتضيه الشهادتان من معان كبرى كالأركان والشروط ، فإذا رد شيئا من ذلك كفر، وذلك بأن يأتي بما ينافي هذا الشرط منافاة تامة مثل:

١- أن يرد شيئا من أصول الدين ، أو يرد شيئا مما تقتضيه هذه الكلمة من الأركان.

٢- أن يرد شيئا من أحكام الشرع اعتقادا منه بعدم مناسبتها للعصر،ونحو ذلك.

فالمخالفة في هذا القسم تنافي الإيمان كله فهو الحد الأدنى من القبول الواجب وجوده عند كل مسلم .

- القسم الثاني : قبول تكميلي للقسم الأول ، وتحقيقه يدل على كمال الإيمان ، بأن يقبل الالتزام بجميع ما تقتضيه الشهادتان من واجب ومندوب ، وهنا يختلف الناس في ذلك بحسب قوة الإيمان وضعفه ، فمن وجد عنده عدم التزام ببعض جاء به الشرع بما لا يخل بالأصول الكبار ، فتكون مخالفته من قبيل المنافاة الجزئية لهذا الشرط (ينافي كمال الإيمان)، مثل: أن لا يظهر أثر القبول على أعمال الجوارح في سرعة الامتثال بفعل الأوامر ، واجتناب النواهي ، و تحكيم الأهواء في ذلك. ، فيقبل منها ما يهواه ، ويرد ما يعارض هواه ، فإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم ، ومن ذلك الكبر فقد فسره الرسول عليه الصلاة والسلام كما في مسلم عن بن مسعود ﷺ بأنه "بطر الحق وغمط الناس " ﷺ [١]

فتحقيق هذا الشرط يكون : بالقبول التام بأن يكون سالما من المنافاة التامة ،و الجزئية ، بأن لا يقع في مخالفة شرعية من ترك واجب أو فعل محرم. وبمعنى آخر :"هو القبول الذي يخلوا من كل ماينافي الإيمان منافاة تامة ، أو جزئية ، وليس لهذا حد .

---

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٦٥) برقم: (٩١) (كتاب الإيمان ، باب تحريم الكبر وبيانه) (بهذا اللفظ)

وأما القبول الناقص هو الذي يشوبه وجود التقصير في القسم الثاني ، بأن يضعف عنده الالتزام بما تقتضيه هذه الكلمة من الحقوق .

فالتقصير في القسم الأول هو فقد لهذا الشرط بالكلية ، وأما التقصير في القسم الثاني وهو الأغلب فإنه لا يعني فقد هذا الشرط عند من فعله.

فالقبول التام درجاته كثيرة وليس لتمامه حد، والقبول الناقص هو الأغلب في أحوال أهل الإسلام . والله تعالى أعلم .

❖ **المسألة الثالثة :** أدلة شرط المحبة .

وقد دل على هذا الشرط الكتاب والسنة ،

فمن الكتاب :

- قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ ﴾ من الآية ٥٤ سورة المائدة
- وقوله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ الآية ٢٤ سورة التوبة
- وقوله تعالى: ﴿مِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ من الآية ١٦٥ سورة البقرة

وجه الاستدلال : أن علامة حب العبد ربه : تقديم محاب الرب وإن خالفت هواه ، وبغض ما يبغض ربه ، وإن مال إليه هواه ، وموالاة من والى الله ورسوله ، ومعاداة من عاداه ، واتباع رسوله ﷺ واقتفاء اثره وقبول هداه ، وكل هذه العلامات شروط في المحبة لا يتصور وجود المحبة مع عدمها.

- وقوله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ الآيتان ٣١، ٣٢ سورة آل عمران.

وجه الاستدلال: أن من لوازم شرط المحبة أن يكون الله ورسوله ﷺ أحب إلى العبد من نفسه، ووالده، والناس أجمعين؛ فإن شهادة: لا إله إلا الله، تستلزم شهادة أن محمداً رسول الله، وتقتضي متابعته قال الحسن البصري وغيره من السلف ادعي قوم محبة الله عز وجل فابتلاهم الله بهذه الآية .

- ومن السنة :

- ماجاء في الصحيحين عن أنس بْنِ مَالِكٍ ﷺ عن النبيﷺ قَالَ ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ" (١)
- وفيهما عَنْ أَنَسٍ ﷺقَالَ النَّبِيُّﷺ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ " ولفظ مسلم " حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ" (٢)
- وفي مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍﷺ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ قَالَ وَمَا أَعْدَدْتَ لِلسَّاعَةِ قَالَ حُبَّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ قَالَ فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ قَالَ أَنَسٌ فَمَا فَرِحْنَا بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَرَحًا أَشَدَّ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّﷺفَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ قَالَ أَنَسٌ فَأَنَا أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِأَعْمَالِهِمْ" (٣)
- وفي البخاري عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هِشَامٍ ﷺ قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّﷺ لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّﷺ الْآنَ يَا عُمَرُ" (٤)

وجه الاستدلال: أن محبة الله ورسوله ﷺ واجبة .

---

(١) - - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٢) برقم: (١٦) (كتاب الإيمان ، باب حلاوة الإيمان) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٤٨) برقم: (٤٣) (كتاب الإيمان ، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان) (بمثله.)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٢) برقم: (١٥) (كتاب الإيمان ، باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (١ / ٤٩) برقم: (٤٤) (كتاب الإيمان ، باب وجوب محبة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين) (بمثله.)

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٥ / ١٢) برقم: (٣٦٨٨) (كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٤٢) برقم: (٢٦٣٩) (كتاب البر والصلة والآداب ، باب المرء مع من أحب) (بنحوه مختصرا.)

(٤) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١٢٩) برقم: (٦٦٣٢) (كتاب الأيمان والنذور ، باب كيف كانت يمين النبي) (بهذا اللفظ)

والمقصود بالمحبة في هذا الشرط : المحبة الشرعية ، وهي محبة متكلفة في الغالب وهي هنا بمعنى الاعتقاد ، أن يعتقد وجوب محبتهما بفعل الأوامر واجتناب النواهي ، ويكره نفسه على فعل ما يجب وترك ما يحرم ، أما أن تصل المحبة الشرعية للأوامر الشرعية من حيث الفعل ، والنواهي من حيث الترك إلى درجة المحبة الجبلية فهو أمر نادر ، والله ذو الفضل العظيم . ويوضح ذلك حديث عمر رضي الله عنه المتقدم ، ومثله ، ماجاء في الصحيحين عن أنس ﷺ عن النبيﷺ أنه قال :" وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ أَوْ قَالَ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ" [1] . والله تعالى أعلم .

- ولتحقيق شرط المحبة قسمان :

- القسم الأول: محبة ضرورية وهي: الحد الأدنى من المحبة التي لابد أن توجد عند كل مسلم ، وتتمثل في ثلاثة أمور فإن خالفها أو خالف شيئا منها ، كان ذلك من قبيل المنافاة التامة لهذا الشرط :

- الأمر الأول : أن يحب الشهادتين وما تضمنتاه من المعاني بقلبه مع قوله بلسانه، فإن أبغض شيئا من معانيهما كفر ، كما في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا ذُكِرَاللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ الآية ٤٥ سورة الزمر .

- الأمر الثاني: أن يحب جميع ما أمر الله به ، وما أمر به رسوله ﷺ من الأوامر حبا شرعيا-فالمحبة القلبية الجبلية ليست لازمة - ، فإن أبغض شيئا منها(بأن يعتقد أنه خطأ وكان الأولى كذا) كفر لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ الآية ٩ سورة محمد .

والمقصود بالحب الشرعي للأوامر: اعتقاد صوابها وأنها الحق ولو غلبته نفسه فعمل بخلافها ، ويلزم من ذلك وجود البغض لجميع النواهي التي نهاه الله ورسوله ﷺ-عنها ، بغضا شرعيا-

---

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٢) برقم: (١٣) (كتاب الإيمان ، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (١ / ٤٩) برقم: (٤٥) (كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير) (بمثله مطولا.)

فالبغض القلبي الجبلي ليس لازما-، فإن أحب شيئا منها -بأن يعتقد أن تحريمها خطأ- كفر.

والمقصود بالبغض الشرعي للنواهي : اعتقاد فساد المنهي عنه وأن تركه هو الحق ولو غلبته نفسه فعمل بخلافه [1] ، فالمحبة الشرعية في الغالب تكون متكلفة لأنها تخالف الهوى ، والبغض الشرعي كذلك يكون متكلفا لكونه مخالفا للهوى .

- الأمر الثالث: أن لا يصرف المحبة المشوبة بالتعظيم لغير الله فإن فعل فقد كفر لقوله تعالى: ﴿مِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ من الآية ١٦٥ سورة البقرة .

وجه الاستدلال: فإذا كان من أحب غير الله كحب الله صار المحبوب ندا لله ، فكيف بمن يحب غير الله أكثر من محبته لله ؟ أم كيف بمن لا يحب الله ابتداء ؟

فالمخالفة في هذا القسم تنافي الإيمان كله .

- القسم الثاني : محبة تكميلية للقسم الأول ، وتحقيقها يدل على كمال الإيمان ، ومخالفتها تنافي كمال الإيمان الواجب ، فتكون المخالفة في هذا القسم من قبيل المنافاة الجزئية لهذا الشرط:

ومن أمثلة المخالفة في هذا القسم :

---

(١) - البغض هنا متعلق بالعمل ، والبغض الذي تقدم في ركن النفي متعلق بالعامل ، فليتنبه . وكلاهما في الغالب يكون متكلفا ، فيجب البراءة من المخالف للدين جزئيا او كليا ولو كان من أقرب الناس إليك ، وهذه البراءة متكلفة لأنها تخالف من جبلت على محبته وتقديره كوالديك أو زوجتك أو أبناءك. ويجب عليك محبة المسلم مهما أبغضه قلبك بغضا جبليا ، أو لأسباب لا تتعلق بالدين . وهذه هي حقيقة الولاء والبراء. وكذلك بغض الأعمال المتمثلة في الشهوات التي تشتهيها النفس هو بغض متكلف مخالف لهواك الذي فطر على محبة الشهوات ، وكذلك محبة التكاليف المفروضة عليك فتلك المحبة غالبا ما تكون متكلفة لكونها مخالفة لهواك ونفسك التي لا تحب التكاليف لأنها تتضمن بعض المشاق . والله تعالى أعلم.

تقديم المحاب القلبية الثمانية على محبة الله ومحبة رسوله ﷺ إذا لم تصل إلى حب العبادة لقوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الآية ٢٤ سورة التوبة .

فتحقيق شرط المحبة بأن تدفعه محبة الله ورسوله إلى فعل الأوامر ، وترك النواهي ولو خالفت جميع المحاب الدنيوية . فكمال المحبة هو الذي يخلو من المنافاة الجزئية لهذا الشرط ، وليس لهذا حد .

والمحبة الناقصة هي التي تشوبها المنافاة الجزئية بوجود التقصير عندما يقدم ما تحبه النفس على ما يحبه الله ورسوله في بعض الأوقات .

فحدوث التقصير في القسم الأول يعتبر فقدان لهذا الشرط ومناف للإيمان بالكلية . أما التقصير في القسم الثاني فهو مناف للإيمان منافاة جزئية لا يزول معها الإيمان بالكلية.

فالمحبة التامة درجاتها كثيرة ، وليس لتمامها حد، والمحبة الناقصة هي الأغلب على أحوال أهل الإسلام . والله تعالى أعلم .

❖ **المسألة الرابعة:** أدلة شرط اليقين.

- وقد دل على هذا الشرط الكتاب والسنة :
- فمن الكتاب : قد جاءت آيات كثيرة تصف أهل اليقين وتثني عليهم ومن ذلك:

١) قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ الآية ١٥ سورة الحجرات .

٢) وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ الآية ٤ سورة البقرة .

٣) وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ الآية ٢٤ سورة السجدة.

وآيات آخر تصف أهل الشك والريب، ومن ذلك:

٤) قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ الآية ٤٥ سورة التوبة

٥) وقوله تعالى: ﴿ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴾ الآية ٦٦ سورة النمل

٦) وقوله تعالى: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ من الآية ١٠ سورة إبراهيم

٧) وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا ﴾ الآية ٦٢ سورة هود . والآيات في هذا المعنى كثيرة .

- ومن السنة : وأدلتها أصرح في الدلالة على المقصود من حيث التنصيص على الشهادتين ومن ذلك :
  - ماجاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺقال قال رسول الله ﷺ :"أشهد أن لا إله رلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة" [١] .

---

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٤١) برقم: (٢٧) (كتاب الإيمان ، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار) (بهذا اللفظ)

- وفي لفظ "لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة" [١] .

وجه الاستدلال: أنه قد جعل اليقين في الشهادتين شرطا لدخول الجنة.

- وفي مسلم عن أبي هريرة ﷺ في حديث طويل:" أن النبي ﷺ بعث بنعليه فقال" من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة" [٢] الحديث.

وجه الاستدلال: فاشترط في دخول قائلها الجنة أن يكون مستيقنا بها قلبه غير شاك فيها ، وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط ، ومن المعلوم أن لا إله إلاالله إذا أفردت دخلت فيها شهادة أن محمدا رسول الله ، وكذلك إذا أفردت شهادة أن محمدا رسول الله دخلت فيها شهادة أن لا إله إلا الله كما تقدم بيانه ، وكما في الحديثين التاليين :

- وفي الصحيحين عن أسماء رضي الله عنها في حديث كسوف الشمس وفيه " ثم قال ما من شيء لم أكن أريته إلا رأيته في مقامي حتى الجنة والنار ، فأوحي إلي أنكم تفتنون في قبوركم مثل أو قريب ، لا أدري أي ذلك قالت أسماء من فتنة المسيح الدجال ، يقال: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن أو الموقن لا أدري بأيهما قالت أسماء فيقول: هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا واتبعنا هو محمد ثلاثا فيقال: نم صالحا قد علمنا إن كنت لموقنا به ، وأما المنافق أو المرتاب لا أدري أي ذلك قالت أسماء فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته" [٣]

---

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٤١) برقم: (٢٧) (كتاب الإيمان ، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٤٤) برقم: (٣١) (كتاب الإيمان ، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار) (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه الإمام أحمد (١١ / ٦٠٤٦) برقم: (٢٥٧٢٩) (مسند عائشة رضي الله عنها ،) (بهذا اللفظ) قال في الترغيب والترهيب ج٤/ص١٩٥ رواه أحمد بإسناد صحيح ،وقال في مصباح الزجاجة ج٤/ص٢٥٢/ ٦٢٥١ هذا إسناد صحيح رواه النسائي في التفسير ... وله شاهد من حديث البراء بن عازب رواه أبو داود في سننه" وقال الأرنؤوط " إسناده صحيح على شرط الشيخين "

- (صحيح). وأخرج الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال:"... فأما فتنة القبر فبي تفتنون وعني تسألون فإذا كان الرجل الصالح اجلس في قبره غير فزع ولا مشعوف ثم يقال له فيم كنت فيقول في الإسلام فيقال ما هذا الرجل الذي كان فيكم فيقول محمد رسول الله ﷺ جاءنا بالبينات من عند الله عز وجل فصدقناه فيفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضا فيقال له انظر إلى ما وقاك الله عز وجل ثم يفرج له فرجة إلى الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له هذا مقعدك منها ويقال على اليقين كنت وعليه مت وعليه تبعث ان شاء الله وإذا كان الرجل السوء اجلس في قبره فزعا مشعوفا فيقال له فيم كنت فيقول لا أدري فيقال ما هذا الرجل الذي كان فيكم فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلت كما قالوا فتفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له انظر إلى ما صرف الله عز وجل عنك ثم يفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضا ويقال له هذا مقعدك منها كنت على الشك وعليه مت وعليه تبعث ان شاء الله ثم يعذب "[1]

- ولتحقيق شرط اليقين قسمان:

- القسم الأول : يقين ضروري وهو: الحد الأدنى من اليقين الذي لابد أن يوجد عند كل مسلم :

- ١- بأن يقولهما مستيقنا بجميع ما تعنيه الشهادتان من الاعتقادات في ركني النفي والإثبات وركن المتابعة ، فإن لم يكن مستيقنا بذلك كفر.

- ٢- أن يكون مستيقنا بجميع ما أمر الله ورسوله به وما نهى عنه الله ورسوله وما أخبر به الله ورسوله بأنه حق كله ، والمصلحة فيه متمحضة ، وأن ما نهى عنه الله ورسوله باطل كله والمفسدة فيه متمحضة فإن شك أو تردد في شيء من ذلك كفر.

فالمنافاة التامة لهذا الشرط تكون بأمور منها:

---

(١) - سبق تخريجه

- ١- وجود الشك في شيء من أصول الدين مما تقدم(في خصائص الله من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات).
- ٢- الشك في شيء مما أخبر به الله أو رسوله ﷺ .
- ٣- اعتقاد أن الأوامر الشرعية أو بعضها مفاسد ينبغي الإعراض عنها مطلقا، أو أن النواهي الشرعية أو بعضها مصالح ينبغي الإتيان بها مطلقا. فالمخالفة في هذا القسم تنافي الإيمان كله.

- القسم الثاني: يقين تكميلي للقسم الأول ، وتحقيقه يدل على كمال الإيمان ، بأن يدفعه اليقين بالشهادتين إلى فعل جميع الأوامر ، وترك جميع النواهي في العبادات والمعاملات ، وفي هذا القسم يختلف الناس بحسب قوة اليقين وضعفه ، والمخالفة في هذا القسم تنافي كمال الإيمان الواجب ، وذلك بأن يدفعه ضعف اليقين إلى فعل بعض المحرمات وترك بعض الواجبات .

فاليقين التام درجات كثيرة يتفاوت فيها الناس بقدر إيمانهم ، فمن الذي يوقن حقا بقوله تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ الآية ٢٤٥ سورة البقرة ، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ من الآية ٣٩ سورة سبأ ، فيدفعه ذلك إلى البذل والعطاء .

ومن الذي يوقن حقا بمثل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ من الآية ٢، ٣ سورة الطلاق ، وبقوله تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦٨) ﴾ الآية ٢٦٨ سورة البقرة .

فمن الذي يبتلى في نفسه أو ماله ، فلا يدفعه ذلك إلى ارتكاب المخالفات الشرعية موقنا بوعد الله له بأنه زوال بلائه يكون بتقوى الله ؟ فهؤلاء هم أهل اليقين حقا . وما أقلهم في كل زمان .

- ومثله في السنة ماجاء في صحيح مسلم عن أَبِي هريرة عنﷺ"مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَاللَّهُ عَبْدًابِعَفْوٍ إِلَّاعِزًّا وَمَاتَوَاضَعَ أَحَدٌلِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ" (١) فهذه الأمورالثلاثة تخالف الظاهر للناس ، فإن الصدقة تنقص المال ظاهرا ، والعفو يلزم منه الذب ظاهر ، والتواضع يلزم منه الإهانة ظاهرا. مع أن وعد الله ووعد رسوله ﷺ لا يتخلف أبدا في هذه الثلاثة ولا في غيرها ، ولكنها تحتاج إلى يقين : فأكثر الناس من حيث التطبيق لهذه المعاني على خلاف ذلك إلا أهل اليقين حقا .
- فكلما ازداد اليقين بوعد الله ، ووعيده ، كلما زادت التقوى ، فهو لايظلم ، ولا يكذب ، وتهون عليه جميع العبادات ، بل يلتذ بها .
- ومنه اليقين بنصرة لله لهذا الدين ، مهما ظهر للناس غير ذلك ، فيكون ممن قال الله فيهم ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ الآية ٢٤ سورة السجدة.

فالمنافاة الجزئية لهذا الشرط تمثل في : عدم عمل الجوارح بكثير مما يوجبه اليقين بهذه الكلمة وحقوقها ، ويتبين ذلك : عندما يقع الخلل بعدم تطبيق بعض الأوامر على الوجه المأمور به شرعا ، أو التهاون بترك بعضها ، أو بعدم اجتناب بعض النواهي والتهاون بفعلها.

فتحقيق هذا الشرط يكون بمحاولة الوصول إلى مايمكن الوصول إليه من كمال اليقين في كلا القسمين ، وهو الامتثال الذي يخلوا من كل ماينافي هذا الشرط منافاة تامة ، أو جزئية ، واليقين الناقص هو من توجد عنده المنافاة الجزئية .

فمن حصل عنده خلل في القسم الأول فإنه يكون فاقدا لهذا الشرط ، وبالتالي يكون فاقدا للإيمان أما من وجد عنده الخلل في القسم الثاني فعنده يقين ضعيف .

فاليقين التام درجاته كثيرة وليس لتمامه حد ، واليقين الناقص هو الأغلب . والله تعالى أعلم .

---

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٢١) برقم: (٢٥٨٨) (كتاب البر والصلة والآداب ، باب استحباب العفو والتواضع) (بهذا اللفظ)

❖ المسألة الخامسة : أدلة شرط الصدق.

وقد دل على هذا الشرط الكتاب والسنة :

- فمن الكتاب:

حيث قال في شأن المؤمنين الذين قالوها صدقا:

- قوله تعالى:﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ الآية٣٣ سورة الزمر
- وقوله تعالى في قصة الثلاثة الذين خلفوا في غزوة تبوك : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩]
- وقوله تعالى : ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ الآية ٢٢ سورة الأحزاب .
- وقوله تعالى:﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ الآيتان ٢، ٣ سورة العنكبوت .

وقال في شأن المنافقين الذين قالوها كذبا:

- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿﴾يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ الآيتان ٨، ٩ سورة البقرة .
- وقوله تعالى : ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ من الآية ١١ سورة الفتح .
- وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ الآية ١٢ سورة الأحزاب .

- ومن السنة :

- ماجاء في الصحيحين عن معاذ بن جبل ﷺعن ﷺ قال :"ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار" [١]

وجه الاستدلال: في هذا نص صريح الدلالة على المقصود من حيث التنصيص على الشهادتين في كون الصدق شرطا لهما.

- وفيهما أيضا من حديث أنس بن مالك وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما من قصة الاعرابي وهو ضمام بن ثعلبة وافد بني سعد بن بكر لما سأل ﷺ عن شرائع الإسلام فأخبره قال هل علي غيرها قال:" لا إلا أن تطوع قال والله لا أزيد عليها ولا أنقص منها فقال ﷺ أفلح إن صدق" وفي بعض الروايات "إن صدق ليدخلن الجنة " [٢]

وجه الاستدلال: أنه اشترط في فلاحه ودخول الجنة أن يكون صادقا .

- وفي الصحيحين عن أسماء رضي الله عنها عن النبي ﷺأنه قال :" إنه قد أوحى إلى أنكم تفتنون في القبور قريبا أو مثل فتنة المسيح الدجال يؤتى أحدكم فيقال له ما علمك بهذا الرجل ؟ فأما المؤمن أو قال الموقن فيقول هو رسول الله هو محمد ﷺ جاءنا بالبينات والهدى فآمنا وأجبنا واتبعنا وصدقنا " [٣]

وجه الاستدلال: أنه اشترط في أن يكون صادقا في الشهادة بأن محمدا رسول الله لأنه إذا قالها موقنا حقا فقد قالها صادقا ولا بد ، والشهادة بأنه رسول الله ﷺ حقا تتضمن بأنه يشهد أن لا إله إلا الله ، وقد سبق تقرير أنه عند إفراد إحدى الشهادتين ، فالشهادة الثانية تدخل فيها ضمنا .

---

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٣٧) برقم: (١٢٨) (كتاب العلم ، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٤٥) برقم: (٣٢) (كتاب الإيمان ، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار) (بمثله.)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٨) برقم: (٤٦) (كتاب الإيمان ، باب الزكاة من الإسلام) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٣١) برقم: (١١) (كتاب الإيمان ، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام) (بمثله.)

(٣) - سبق تخريجه

- ولتحقيق شرط الصدق قسمان :

- القسم الأول: صدق ضروري . وهو الحد الأدنى من الصدق الذي لابد أن يوجد عند كل مسلم:
  - ١- فلابد أن يكون صادقا في قوله للشهادتين يواطئ قلبه لسانه ، وإلا كان منافقا .
  - ٢- ولابد أن يكون صادقا في أن يأتي بجميع ما تقتضيه الشهادتين من المعاني المتعلقة بالأركان ، فإذا ناقضهما بفعل ما ينقضهما من فعل أو قول أو اعتقاد ؛ كان كاذبا في قوله الشهادتين. فالمخالفة في هذا القسم تنافي الشهادتين منافاة تامة ، وبمعنى آخر: تنافي الإيمان كله.
- القسم الثاني: صدق تكميلي للقسم الأول ، وتحقيقه يدل على كمال الإيمان ، فكمال الصدق أن يكون صادقا في أقواله ، وأفعاله ، فيصدق في أدائه لجميع ما يجب عليه ، ويصدق في ترك جميع ما ينهى عنه .

وهذا القسم يتفاوت فيه الناس بحسب قوة الإيمان وضعفه ، والمخالفة في هذا القسم تنافي كمال الإيمان الواجب ، فقد يقولهما بلسانه صادقا من قلبه ولكن بعض أعماله ، وبعض أقواله مخالفة لمقتضى الصدق ، ولكن هذه المخالفة لا تناقض أصل الصدق ، فتكون المخالفة في هذا القسم من قبيل المنافاة الجزئية لهذا الشرط ، وبمعنى آخر منافية لكمال الإيمان .

فتحقيق شرط الصدق يكون بمحاولة الوصول إلى ما يمكن الوصول إليه من كمال الصدق في كلا القسمين ، وهو الصدق الذي يسلم من المنافاة التامة ، ويسلم أيضا من المنافاة الجزئية ، وليس لهذا حد ينتهى إليه ، فهو يصدق ويصدق إلى مالانهاية له.

فدرجات الصدق كثيرة وليس لتمامه حد ومصداق ذلك ما جاء في الصحيحين عن عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ قَالَ النبي ﷺ : " عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عندَ اللَّهِ صِدِّيقًا وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عندَ اللَّهِ كَذَّابًا" [١] .

وفي قصة كعب بن مالك ﷺ بيان لهذا المعنى أيضا ، كما في البخاري حيث جاء فيه:

وَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا أَنْجَانِي بِالصِّدْقِ وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيتُ قَالَ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدًا مِنْ المسلمينَ أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرسول الله ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا أَحسن مِمَّا أَبْلَانِي اللَّهُ بِهِ وَاللَّهِ مَا تَعَمَّدْتُ كَذِبَةً مُنْذُ قُلْتُ ذَلِكَ لِرسول الله ﷺإِلَى يَوْمِي هَذَا وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيَ قَالَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿وَعَلَى الثلاثة الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ حَتَّى بَلَغَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ قَالَ كَعْبٌ وَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ إِذْ هَدَانِي اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي رسول اللهﷺ أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ وَقَالَ اللَّهُ ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عنهُمْ فَأَعْرِضُوا عنهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عنهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عنهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عن الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ " [٢]

---

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ٢٥) برقم: (٦٠٩٤) (كتاب الأدب ، باب قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) (بمثله) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٢٩) برقم: (٢٦٠٧) (كتاب البر والصلة والآداب ، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله) (بمثله)

(٢) – أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦ / ٣) برقم: (٤٤١٨) (كتاب المغازي ، باب حديث كعب بن مالك وقول الله عز وجل وعلى الثلاثة الذين خلفوا) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٠٥) برقم: (٢٧٦٩) (كتاب التوبة ، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه) (بمثله) .

فالصدق الناقص هو من وجد عنده القسم الأول(الصدق الضروري) ، ولكن يوجد عنده تقصير في القسم الثاني بأن يضعف عنده الالتزام بما تقتضيه هذه الكلمة من الحقوق سوى الأركان والشروط ، وهذه من المنافاة الجزئية لهذا الشرط .

فحدوث التقصير في القسم الأول يعد فقدانا لهذا الشرط بالكلية . وحدوث التقصير في القسم الثاني يكون فقدانا لكمال الصدق.

فالصدق التام درجاته كثيرة ، وليس لتمامه حد ، والصدق الناقص هو الأغلب على أحوال أهل الإسلام. والله تعالى أعلم.

❖ المسألة السادسة : أدلة شرط الإخلاص.

ويدل على هذا الشرط الكتاب والسنة :

- فمن الكتاب: عموم الآيات التي جاءت بالأمر بوجوب الإخلاص ومن ذلك:
  - قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ الآية ٥ سورة البينة
  - قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [الزمر: ٢-٣]
  - وقوله تعالى ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ الآية ١١ سورة الزمر
  - وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ الآية ١١٠ سورة الكهف
  - قال في «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد» (ص٤٥٣):
  - «وقال سعيد ابن جبير: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ} . قال: من كان يخشى البعث في الآخرة رواه ابن أبي حاتم. {فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً} ٤، أي: كائنًا ما كان. قال ابن القيم أي: كما أنه إله واحد لا إله سواه، فكذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده لا شريك له فكما تفرد بالإلهية يجب أن يفرد بالعبودية، فالعمل الصالح هو الخالص من الرياء، المقيد بالسنة انتهى»
  - وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «جامع المسائل - ابن تيمية - ط عطاءات العلم» (٤/ ١٩٧): «قال تعالى: (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً)، قال الفُضيل بن عِياض: أخلصُه وأصوبُه. قالوا: ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابا لم يُقْبَل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقْبَل، حتى يكون صوابا خالصًا، والخالص أن يكون لله، والصوابُ أن يكون على السنة. وهذا الذي قاله الفُضَيل من الأصولِ المتفق عليها»

ومن السنة:

- ماجاء في الصحيح(البخاري) عن أبي هريرة ﷺعن النبي ﷺ أنه قال :"أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه" [١]

وجه الاستدلال : هذا النص صريح الدلالة على المقصود من حيث التنصيص على الشهادتين في كون الإخلاص شرطا لشهادة أن لا إله إلا الله . وهي كما سبق تقريره إذا أفردت دخل في معناها شهادة أن محمدا رسول الله . والله تعالى أعلم.

- وفي الصحيحين عن عتبان بن مالك ﷺ عن ﷺ قال:" إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله عز وجل" [٢] .

وجه الاستدلال: هذا الحديث في معنى الذي قبله .

- وفي مسلم عن أَبِي هريرة ﷺ قَالَ قَالَ النبي ﷺ "إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ" [٣]

وجه الاستدلال: وفيه إشارة إلى الإخلاص.

---

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٣١) برقم: (٩٩) (كتاب العلم ، باب الحرص على الحديث) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٩٢) برقم: (٤٢٥) (كتاب الصلاة ، باب المساجد في البيوت) (بهذا اللفظ) ، (٢ / ١٢٦) برقم: (٣٣) (كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب الرخصة فِي التخلف عَنْ الجماعة بعذر) (بمثله)

(٣) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١١) برقم: (٢٥٦٤) (كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره) (بهذا اللفظ)

- **وقبل الشروع في بيان كيفية تحقيق الإخلاص وبيان أقسامه، فلابد من توضيح مسألتين لهما تعلق بشرط الإخلاص:**

- **المسألة الأولى : الإخلاص شرط للقبول و الثواب في العبادات المحضة ، وشرط للثواب في العبادات غير المحضة. فإن العبادة تشمل:**

- **العبادات المحضة** ، وهي: الأعمال والأقوال التي هي عبادات في أصل مشروعيتها ، وقد ثبت الدليل بتحريم صرفها لغير الله، ويدخل فيها: أ- **العبادات القلبية** وهي تشمل: أ- قول القلب "اعتقاده" وعمل القلب مثل المحبة والاخلاص والرجاء والخوف والتوكل والصبر على فعل الأوامر وترك النواهي . ب- العبادات القولية كالنطق بكلمة التوحيد ،والذكر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقراءة القرآن . ج- **العبادات الفعلية"البدنية"** : كالصلاة والصيام والسجود والطواف والحج وطلب العلم الشرعي . د- **العبادات المالية:** كالزكاة وصدقة التطوع والذبح والنذر بإخراج شيء من المال. **فالإخلاص في مثل هذه الأعمال شرط في القبول وفي استحقاق الثواب. وهذا لا إشكال فيه.**

- **العبادات غير المحضة** وهي:الأعمال والأقوال التي ليست عبادات في أصل مشروعيتها ولكنها تتحول بالنية الصالحة إلى عبادات مثل: أ- **فعل الواجبات والمندوبات** التي ليست في الأصل من العبادات: كالنفقة الواجبة وبر الوالدين وإكرام الضيف. ب- ترك المحرمات **فإن تركها لله أثيب على ذلك** . ج- **فعل المباحات:** كالأكل والنوم والبيع **فإن نوى بفعلها التقوي على طاعة الله أثيب عليها** [1] . **فتلك الأعمال وما في معناها**

---

[1] -بتصرف يسير .انظر تسهيل العقيدة لفضيلة الأستاذ الدكتور عبدالله بن عبدالعزيز الجبرين-رحمه الله- ص ١٢٦-١٣٠ .

ليست من العبادات الخالصة ، فمن شرط الثواب عليها الاحتساب وهو بمعنى إخلاص النية فيها لله وحده ، فإن لم يستحضر النية في مثل ذلك لم يثب . وهذا لاإشكال فيه أيضا. وإنما الإشكال في المسألة الثانية:

- **المسألة الثانية :** هل يعاقب من لم يخلص النية لله في بعض العبادات غير المحضة ؟

لو امتثل في العبادات غير الخالصة -مما تقدم- كمن بر والديه لغرض دنيوي ، أو أنفق النفقة الواجبة وأكرم ضيفه من غير احتساب ، أو امتثل لغير وجه الله؛ فإنه لا يأثم لأنه قد امتثل ، ولا يؤجر لأنه لم يحتسب :

وهنا يرد استشكال بعض الأحاديث ومنها :

- في مسلم عن أبي هريرة ﷺ :" سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ** ، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ ، **قَالَ: كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ** ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ ، **قَالَ: كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ** ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ ، **قَالَ: كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ** ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ .

"[1]

- (صحيح) . وفي لفظ عند ابن حبان:"**يا أبا هريرة** أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة"[2]

---

[1] – أخرجه مسلم في "صحيحه"(٦ / ٤٧) برقم: (١٩٠٥) (كتاب الإمارة ، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار) (بهذا اللفظ).

[2] – أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٢ / ١٣٥) برقم: (٤٠٨) (بهذا اللفظ) قال الأرنؤوط في «صحيح ابن حبان» (٢/ ١٣٧): «إسناده صحيح، الوليد بن أبي الوليد، من رجال مسلم، وترجمه ابن أبي حاتم: ١٩/٩، ٢٠ ونقل توثيقه عن أبي زرعة، ووثقه الإمام الذهبي في "الكاشف": ٢٤٣/٣، وذكره المؤلف في "الثقات" ٤٩٤/٥ و٥٥٢/٧، وقد وهم الحافظ في "التقريب" فوصفه بقوله: لين الحديث، وباقي رجاله ثقات.». وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (١/ ٣٥٢): «١٧١٣»

- (حسن . صحيح لغيره) .وعن أَبِي هريرة قَالَ ﷺ مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنْ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَعْنِي رِيحَهَا"[١]
- (صحيح لغيره) . عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ ، عَنْ جَابِرٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : لَا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ ، وَلَا تُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ ، وَلَا تَخَيَّرُوا بِهِ الْمَجَالِسَ ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالنَّارَ النَّارَ :"[٢].

---

[١] – أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١ / ٢٧٩) برقم: (٧٨) ((بهذا اللفظ) ،(والحاكم في "مستدركه" (١ / ٨٥) برقم: (٢٨٧) ، وأبو داود في "سننه" (٣ / ٣٦١) برقم: (٣٦٦٤) ، وابن ماجه في "سننه" (١ / ١٦٩) برقم: (٢٥٢) ، ، وأحمد في "مسنده" (٢ / ١٧٧٧) برقم: (٨٥٧٣) (مسند أبي هريرة رضي الله عنه ،) (بلفظه.) . قال النووي في «المجموع شرح المهذب» (١/ ٢٣): «رواه أبو داود وغيره بإسناد صحيح» . وقال أحمد شاكر في «مسند أحمد» (٨/ ٣١٩ ت أحمد شاكر): «إسناده صحيح،» . وقال الأرنؤوط في ف «مسند أحمد» (١٤/ ١٦٩ ط الرسالة): «إسناده حسن» ... ويشهد لهذا اللفظ الأخير غير ما حديث، لكن بأسانيد ضعيفة، انظر "صحيح ابن حبان" (٧٧) . وقال في «سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط» (١/ ١٦٩): «إسناده حسن إن شاء الله، فليح بن سليمان -وإن تكلم فيه- قد انتقى له البخاري أحاديث في الفضائل والرقائق، وباقي رجاله ثقات. ويشهد له حديث جابر الآتي برقم (٢٥٤)» ، وقال في «سنن أبي داود ت الأرنؤوط» (٥/ ٥٠٥): «حديث صحيح لغيره، فليح -وهو ابن سليمان- وإن تُكلِّم فيه، يعتبر به في المتابعات والشواهد، وباقي رجاله ثقات. وقد سكت عبد الحق الإشبيلي عن هذا الحديث مصححاً له. ... ويشهد له حديث عبد الله بن عُمر عند الترمذي (٢٨٤٦)، وابن ماجه (٢٥٨)، والنسائي في "الكبرى" (٥٨٧٩)، ولفظه: "... وحسنه الترمذي... وحديث جابر عند ابن حبان (٧٧): "لا تعلَّموا العِلْمَ لِتباهوا به العلماءَ، ولا تُماروا به السُّفهاء، ولا تَخَيَّرُوا به المجالسَ، فَمَن فَعَلَ ذلك، فالنار النار"» . وقال في «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» (١/ ٢٧٩): «حديث صحيح». قال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ١٥٣): «١٠٥» ، " صحيح لغيره" . وقال في «مشكاة المصابيح» (١/ ٧٧): برقم «٢٢٧» "صحيح" ، وكذا قال في «التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان» (١/ ١٩٩): برقم ٧٨ «صحيح»

[٢] – أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١ / ٢٧٨) برقم: (٧٧) (كتاب العلم ، ذكر وصف العلم الذي يتوقع دخول النار في القيامة لمن طلبه) (بهذا اللفظ) والحاكم في "مستدركه" (١ / ٨٦) برقم: (٢٨٩) (كتاب العلم ، لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء) (بنحوه.) ، (١ / ٨٦) برقم: (٢٩٠) (كتاب العلم ، لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء) وابن ماجه في "سننه" (١ / ١٧٠) برقم: (٢٥٤) (أبواب السنة ، باب الانتفاع بالعلم والعمل به) (بمثله.) . قال الأرنؤوط في «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» (١/ ٢٧٩): «رجاله ثقات رجال الصحيح، إلا ان فيه عنعنة ابن جريج، وأبي الزبير. ..وأخرجه ابن ماجة "٢٥٤" في المقدمة: باب الانتفاع بالعلم والعمل به، عن محمد بن يحيى، عن ابن أبي مريم، بهذا الإسناد، قال البوصيري في "زوائده" ورقة ٢٠: هذا إسناد رجاله ثقات على شرط مسلم. وأخرجه الحاكم ٨٦/١، وابن عبد البر ص ٢٢٦، من طرق عن ابن أبي مريم، بهذا الإسناد. وفي الباب عن ابن عمر عند ابن ماجة "٢٥٣"، وإسناده ضعيف، وعن كعب بن مالك عند الترمذي "٢٦٥٦"، والحاكم ٨٦/١، وإسناده ضعيف، وعن حذيفة عند ابن ماجة "٢٥٩"، وعن أبي هريرة عند ابن ماجة "٢٦٠"، وإسنادهما ضعيف، وعن أنس عند البزار "١٧٨"، فيتقوى الحديث بهذه الشواهد، ويصح» . وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ١٥٤): برقم «١٠٧» "صحيح لغيره"

فحديث أبي هريرة ﷺ المتقدم في الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار وما جاء في معناه موضع استشكال : فإن هذه الأعمال المذكورة في الحديث تحتمل: إرادة الدنيا ، وتحتمل وإرادة الآخرة ، فالذين قاموا بهذه الأعمال المذكورة في الحديث طوائف:

- **الطائفة الأولى : هم الذين أظهروا للناس أنهم يريدون بهذه الأعمال وجه الله والدار الآخرة ، وهم في بواطنهم إنما يريدون الدنيا فقط فعوقبوا بذلك ، فإرادة الدنيا عندهم كانت إرادة خالصة ، ففي الحديث المتقدم** قوله **"لأن يقال جريء ... ولكنك تعلمت العلم ليقال" فظاهر ذلك الإرادة الخالصة للدنيا غير المشوبة بإرادة الآخرة ..** وكما في الحديث الآخر عن أبي هريرة ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ : **من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله ، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا** ، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة" ، وقد تقدم. **فقوله "إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا " يدل على أنه إنما أراد ذلك فقط .** وهو تفسير قوله تعالى: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ**﴾ ﴿**أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ**﴾ **[هود: ١٥-١٦]**
- **والطائفة الثانية** : هم من جاهد ، أو أنفق ، أو علم ، ولم يرد بذلك الآخرة ، **ولكنه لم يظهر للناس أنه أراد الآخرة كما في الطائفة الأولى** ، وإنما فعل هذه الأمور من باب أداء ما يجب عليه من غير احتساب ، **فيحتمل أن لا يثاب ولا** يعاقب ، **فهو لا يعاقب لأنه أدى الواجب المطلوب منه ، ولا يثاب لأنه لم يحتسب .**
- **الطائفة الثالثة : هم من شرك إرادة الدنيا بإرادة الآخرة وهاهنا وجهتان:**

الوجهة الأولى : بأن يقال : بأن من أشرك في إرادته الآخرة ، فإنه لا يعاقب ، ولكنه لا يثاب لعدم إخلاص الإرادة لله ، وقد يستدل على ذلك بحديث أبي أمامة الباهلي ﷺ المتقدم "أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال يا رسول

الله أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر فقال رسول الله ﷺ لا شيء له فأعادها عليه ثلاث مرات يقول له رسول الله ﷺ لا شيء له ثم قال إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتغى به وجهه" [1]

الوجهة الثانية : بأن يقال بأنه يؤجر على إرادته الآخرة إذا لم يكن رياء. **قال بن رجب-رحمه الله- في جامع العلوم والحكم ص ٨١-٨٢ "** فإن خالط نية الجهاد مثلا نية غير الرياء ، مثل أخذ أجرة للخدمة أو أخذ شيء من الغنيمة ، أو التجارة ، نقص بذلك أجر الجهاد ولم يبطل بالكلية **وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو** رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال :" إن الغزاة إذا غنموا غنيمة ، تعجلوا ثلثي أجرهم ، فإن لم يغنموا شيئا تم لهم أجرهم " وقد ذكرنا فيما مضى أحاديث تدل على أن من أراد بجهاده عرضا من الدنيا أنه لا أجر له ، **وهي محمولة على أنه لم يكن له غرض في الجهاد إلا الدنيا** "أهـ كلامه رحمه الله .

والذي يظهر بأنه لابد من الإخلاص التام لله لمن أراد الثواب ، ولاعقوبة إلا في هذه الأعمال التي تشوبها العبادة (كالعلم والجهاد والنفقة) للنص عليها ، ومن شرط العقوبة :

١- **أن تكون إرادته -بهذه الأعمال- للدنيا إرادة خالصة.**

٢- **أو لمن أظهر للناس بأنه يريد-بهذه الأعمال- الآخرة وهو كاذب .**

ولا ثواب ولا عقاب لمن:

١- شرك في إرادته بأن جمع بين إرادة الدنيا والآخرة.

٢- ولا لمن أراد الدنيا من غير إظهار للناس أنه يريد الآخرة.

وقد يقال بأنه في حال التشريك في الإرادة أنه:

١- يثاب إذا كانت إرادة الآخرة هي الغالبة .

٢- وقد لا يعاقب مادام أنه قد أراد الآخرة مع الدنيا وإن كانت إرادة الاخرة مغلوبة بإرادة الدنيا.

٣- **أنه يثاب مطلقا بقدر إرادته الآخرة ، سواء كانت غالبة على إرادة الدنيا أو مغلوبة بها** ، وهو ما أشار إليه ابن رجب -رحمه الله- فيما تقدم بشرط أن لا يكون رياء . **وهو الأقرب والله تعالى أعلم .**

---

[1] – سبق تخريجه حديث رقم ٤٦

- ولتحقيق شرط الإخلاص قسمان:

- القسم الأول : إخلاص ضروري : وهو الحد الأدنى من الإخلاص الذي لابد أن يوجد عند كل مسلم بأن:

  - ١- يقولهما معتقدا معناهما طلبا لمرضاة الله ، لا من أجل حظ من حظوظ الدنيا ، وهذا لابد منه لصحة الإسلام وإلا فهو نفاق .

  - ٢- أن يصرف جميع أنواع العبادة المحضة (كالصلاة والدعاء والنذر والذبح) لله وحده ، على الوجه الذي أمر الله به ، وأمر به رسوله عليه الصلاة والسلام ، بأن يتوجه بقصده وطلبه بجميع أنواع العبادة لله وحده ، وهذا لابد منه لتحقيق هذا الشرط ، فإن صرف شيئا منها لغير الله فقد ، كفر. ومما يدل على هذا المعنى أحاديث منها :

  - في الصحيحين عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال:" يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة :"لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به فيقول نعم فيقول أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئا فأبيت إلا أن تشرك بي" [١]

  - وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ﷺ : قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ" [٢] .

    ماجاء في صحيح مسلم عن أبي ذر ﷺ أن النبي ﷺ قال :" يقول الله عز وجل:"من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب

---

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٣٣) برقم: (٣٣٣٤) (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٣٤) برقم: (٢٨٠٥) (كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهبا) (بنحوه.)

(٢) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٢٢٣) برقم: (٢٩٨٥) (كتاب الزهد والرقائق ، باب من أشرك في عمله غير الله) (بهذا اللفظ)

مني ذراعا تقربت منه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة" [١] .

- فالحد الأدنى من الإخلاص : بأن يصدق في قولهما فيواطئ قلبه لسانه ، يريد بذلك وجه الله ، وإخلاص جميع أنواع العبادة لله وحده بأن يفرد الله بالعبادة ظاهرا وباطنا . فهذا الإخلاص ضروري لكل مسلم ، فالمخالفة في هذا القسم تنافي الإيمان كله.

- القسم الثاني : قسم تكميلي : فتحقيقه يدل على كمال الإيمان ، بأن يكون مخلصا لله متابعا لرسوله ﷺ في جميع الأقوال والأفعال في العبادات وفي العادات الظاهرة والباطنة كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]

- ومن أدلته من السنة:

- فيهما عن أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ: إِذَا أَنْفَقَ الْمُسْلِمُ نَفَقَةً عَلَى أَهْلِهِ ، وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا ، كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً"[٢]

- وفيهما عن أبي بردة رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعث أبي موسى وأتبعه بمعاذ ثم ذكرالحديث وفيه"ثُمَّ تَذَاكَرَا قِيَامَ اللَّيْلِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَمَّا أَنَا فَأَقُومُ وَأَنَامُ ، وَأَرْجُو فِي نَوْمَتِي مَا أَرْجُو فِي قَوْمَتِي"وفي لفظ للبخاري:"فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي"[٣]

---

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٦٧) برقم: (٢٦٨٧) (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى) (بهذا اللفظ)

(٢) – أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧ / ٦٢) برقم: (٥٣٥١) (كتاب النفقات ، باب فضل النفقة على الأهل) (بهذا اللفظ) . ومسلم في "صحيحه" (٣ / ٨١) برقم: (١٠٠٢) (كتاب الزكاة ، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين) (بمثله.)

(٣) – أخرجه البخاري في "صحيحه" (٥ / ١٦١) برقم: (٤٣٤١) (كتاب المغازي ، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع) (بهذا اللفظ) ،ومسلم في "صحيحه" (٥ / ١٤١) برقم: (١٧٣٢) (كتاب الجهاد والسير ، باب فِي الْأَمر بالتيسير وترك التنفير) (بنحوه مختصرا.)

- وفيهما عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وقاص ﷺ أَنَّ النبي ﷺ قَالَ:" إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً **تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ** إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى مَا **تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ**"[١]
- وفي البخاري عن أَبِي هريرة ﷺأَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ" إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا **وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي** فَاكْتُبُوهَا لَهُ حسنةً وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حسنةً فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حسنةً فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ"[٢]
- وفي لفظ لمسلم عن أَبُي هريرة ﷺ قال : قَالَ رسول الله ﷺ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ "إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حسنةً فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حسنةً مَا لَمْ يَعْمَلْ فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا وَقَالَ النبي ﷺ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ رَبِّ ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ فَقَالَ ارْقُبُوهُ فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حسنةً **إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ**"[٣]

وجه الاستدلال من تلك الأحاديث : أن هذه الأعمال يؤجر عليها إذا احتسبها وأراد بها وجه الله .

فالمنافاة التامة لهذا الشرط :

- **١- أن يقولهما بغير اعتقاد لمعناهما ، أو أنه قال ذلك من أجل حظ من حظوظ الدنيا وهذا هو المنافق.**
- **٢- أن يقوم بصرف شيئا من العبادات المحضة لغير الله كالدعاء والنذر والذبح .**

---

[١] – أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٢٠) برقم: (٥٦) (كتاب الإيمان ، باب ما جاء أن الأعمال بالنية) (بهذا اللفظ) ،ومسلم في "صحيحه" (٥ / ٧١) برقم: (١٦٢٨) (كتاب الوصية ، باب الوصية بالثلث) (بمثله مطولا.)

[٢] – أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ١٤٤) برقم: (٧٥٠١) (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى يريدون أن يبدلوا كلام الله) (بهذا اللفظ) . ومسلم في "صحيحه" (١ / ٨٢) برقم: (١٢٩) (كتاب الإيمان ، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب) (بنحوه مطولا.)

[٣] – أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٨٢) برقم: (١٢٩) (كتاب الإيمان ، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب) (بهذا اللفظ)

والمنافاة الجزئية في باب العبادات المحضة لهذا الشرط : الشرك الأصغر ، والرياء في بعض صوره ، والمنافاة الجزئية في باب العبادات غير المحضة ، أن يغفل عن إرادة الثواب من الله في بيعه وشرائه ، وفي بيته مع أهله وولده وفي سوقه ،وسائر عمله كما تقدم في بعض الأحاديث .

وهنا يختلف الناس في ذلك بحسب قوة الإيمان وضعفه.

فقد يتخلف الإخلاص في باب العبادات المحضة تخلفا جزئيا ، فيكون قد وقع في الشرك الأصغر كما لو راءى ببعض بعمله أو سمّع به ومما جاء في ذلك:

- ما جاء في صحيح مسلم عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم- « قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِى غَيْرِى تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ » [1] .
- وفي الصحيحين من حديث جُنْدَبٍ الْعَلَقِيَّ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ " [2]

فتحقيق شرط الإخلاص يكون بمحاولة الوصول إلى مايمكن الوصول إليه ، من كمال الإخلاص في كلا القسمين ، وهو الإخلاص الذي يسلم من المنافاة التامة والمنافاة الجزئية ، والإخلاص الناقص هو من توجد عنده المنافاة الجزئية .

فالإخلاص التام درجاته كثيرة وليس لتمامه حد ، والإخلاص الناقص هو الأغلب في أحوال أهل الإسلام. والله تعالى أعلم .

---

(١) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٢٢٣) برقم: (٢٩٨٥) (كتاب الزهد والرقائق ، باب من أشرك في عمله غير الله) (بهذا اللفظ)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١٠٤) برقم: (٦٤٩٩) (كتاب الرقاق ، باب الرياء والسمعة) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٢٢٣) برقم: (٢٩٨٧) (كتاب الزهد والرقائق ، باب من أشرك في عمله غير الله) (بنحوه)

❖ المسألة السابعة : أدلة شرط الانقياد.

ويدل على هذا الشرط الكتاب والسنة :

- فمن الكتاب:

- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠)﴾ الآية ٦٠ سورة النساء ، مع قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ الآية ٦٥ سورة النساء .
- وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١)﴾ من سورة النور
- وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ الآية ٣٦ سورة الأحزاب .
- وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٠٤)﴾ الآية ١٠٤ سورة المائدة

وجه الاستدلال: من الآيات: ظاهر في وجوب الانقياد لحكم الله ورسوله ﷺ وأن الإيمان والفلاح والهداية لا تكون إلا بذلك .

- ومن السنة:

- في الصحيحين : عن ابن مسعود ﷺقال:" لما كان يوم حنين آثر ﷺ أناسا في القسمة وأعطى أناسا من أشراف العرب فآثرهم يومئذ في القسمة قال رجل والله إن هذه القسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله"فقال فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر" (١)
- وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال:" بعث علي بن أبي طالب إلى رسول الله ﷺ من اليمن بِذَهَبَةٍ في تربتها فقسمها بين أربعة نفر فقال رجل من أصحابه كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء قال فبلغ ذلك ﷺ فقال ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحا ومساء قال فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة كث اللحية محلوق الرأس مشمر الإزار فقال يا رسول الله اتق الله فقال ويلك أو لست أحق أهل الأرض أن يتقي الله " (٢)

وجه الاستدلال من الحديثين : فيه ذم واضح لمن اعترض على حكم رسول الله ﷺ في قسمته.

- وفي الصحيحين عن معاذة قالت : سألت عائشة فقلت ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة ؟ فقالت أحرورية أنت ؟ قلت لست بحرورية ولكني أسأل قالت كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة " (٣) وهذا لفظ مسلم

وجه الاستدلال: أنها علت لقضاء الصوم وعدم القضاء الصلاة للحائض بأن هذا هو الحكم الشرعي الذي أمرت به ، وتعني بذلك وجوب التسليم لهذا الحكم ، وعدم الاعتراض عليه كما فعل الخوارج حيث كانوا يوجبون قضاء الصلاة على الحائض.

---

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ٩٥) برقم: (٣١٥٠) (كتاب فرض الخمس ، باب ما كان النبي يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٣ / ١٠٩) برقم: (١٠٦٢) (كتاب الزكاة ، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه) (بمثله.)

(٢) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٣٧) برقم: (٣٣٤٤) (كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله عز وجل وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر) ، ومسلم في "صحيحه" (٣ / ١١٠) برقم: (١٠٦٤) (كتاب الزكاة ، باب ذكر الخوارج وصفاتهم) (بهذا اللفظ)

(٣) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٧١) برقم: (٣٢١) (كتاب الحيض ، باب لا تقضي الحائض الصلاة) (بمعناه) ومسلم في "صحيحه" (١ / ١٨٢) برقم: (٣٣٥) (كتاب الحيض ، باب وجوب قضاء الصوم على الحائض دون الصلاة) (بهذا اللفظ)

- وفي الصحيحين عن عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ﷺ، أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فِي شِرَاجِ الْحَرَّةِ الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا النَّخْلَ فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: سَرِّحِ الْمَاءَ يَمُرُّ فَأَبَى عَلَيْهِ فَاخْتَصَمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، لِلزُّبَيْرِ: اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ احْبِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ فَقَالَ الزُّبَيْرُ: وَاللهِ إِنِّي لأَحْسِبُ هذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذلِكَ (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ" [1]

وجه الاستدلال: بيان بأن من اعترض على حكم من أحكام الرسول ﷺ يدخل في عموم هذه الآية من نفي الإيمان عمن ارتكبه إما نفيا تاما للإيمان ، أو نفيا لكماله ، بحسب ماوقر في قلبه.

- ولتحقيق شرط الانقياد قسمان :

- القسم الأول: انقياد ضروري ، وهو الحد الأدنى من الانقياد ، بأن ينقاد لما دلت عليه الشهادتان من المعاني : كإخلاص العبادة لله ، وترك الشرك ، وإفراده ﷺ بالمتابعة ، وفعل الواجبات ، وترك المحرمات . فإن قالها ولم يسلم بموجباتها وما تقتصيه الأوامر والنواهي ، أو ظن أنه يسعه مخالفة الشريعة وما جاءت به ، أو مخالفة بعض ما جاءت به الشريعة لكون ذلك غير مناسب لمثل هذا العصر ، أو لعدم ملائمتها لعقله . فالمخالفة هنا تنافي الإيمان كله .
- القسم الثاني: انقياد تكميلي للقسم الأول ، وتحقيقه يدل على كمال الإيمان ، بأن يكون منقادا لله ولرسوله ﷺ بفعل جميع الأوامر وترك جميع النواهي ،في العبادات والمعاملات ومعنى الانقياد هنا هو: التسليم القلبي لجميع أحكام الشريعة من غير وجود اعتراض على شيء منها ، واعتقاد أن الانقياد لأحكامها حق ، وأنه واجب عليه ، حتى وإن وقعت منه مخالفات لذلك

---

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣ / ١١١) برقم: (٢٣٥٩) (كتاب الشرب والمساقاة ، باب سكر الأنهار) (بهذا اللفظ) ، ومسلم في "صحيحه" (٧ / ٩٠) برقم: (٢٣٥٧) (كتاب الفضائل ، باب وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم) (بمثله.)

بالقول والفعل ، وفي هذا القسم يختلف الناس بحسب قوة الإيمان وضعفه ، والمخالفة في هذا القسم تنافي كمال الإيمان الواجب .

فالمنافاة التامة لهذا الشرط تحصل عند عدم وجود الحد الأدنى من الانقياد ، ويكون ذلك بـــ :

- ١- عدم الانقياد لما تضمنته هذه الكلمة من الاستسلام التام لأحكام الله وأحكام الرسول ، وذلك بالطعن فيها أو اعتقاد أنها على خلاف ما ينبغي.
- ٢- أو بأن يقدم تقليد الآباء والعادات المخالفة للشرع على شرع الله طوعا واختيارا ، ولو خالف ركنا من أركان الشهادتين ، فيكون بذلك قد أتى بما ينافي الإيمان.

والمنافاة الجزئية : أن يقع في قلبه وجوب الالتزام بما تقتضيه هذه الكلمة بامتثال الأوامر واجتناب النواهي ، ولكنه يفشل في تطبيق بعضها . وهذا يتفاوت فيه الناس ، فمنهم من ينقاد للأحكام الشرعية إذا وافقت هواه ، ويمتنع عن الانقياد إذا تعارضت معه ، فهذا انقياد ناقص يشوبه وجود التقصير.

فتحقيق شرط الانقياد ، يكون بمحاولة الوصول إلى مايمكن الوصول إليه من كمال الانقياد في كلا القسمين ، وهو الانقياد الذي يخلوا من كل ماينافي هذا الشرط منافاة تامة ، أو جزئية .

فالانقياد التام درجاته كثيرة ، وليس لتمامه حد ، والانقياد الناقص هو الأغلب في أحوال أهل الإسلام . والله تعالى أعلم .

المقدمة الخامسة في بيان

الشرط الثامن (العمل بالجوارح)

وفيها خمس مسائل:

❖ المسألة الأولى : التنبيه على التلازم بين القول والاعتقاد والعمل.

هناك من قسم القول إلى قسمين: قول اللسان وقول القلب . وقسم العمل إلى قسمين: عمل القلب وعمل الجوارح .

وهناك من خص القول باللسان وحده، والعمل للجوارح، وفسر عمل القلب بالاعتقاد، وهي تقسيمات اصطلاحية والمعنى واحد.

قال شيخ الإسلام –رحمه الله-:"ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة السنة في " تفسير الإيمان " فتارة يقولون: هو قول وعمل. وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية. وتارة يقولون قول وعمل ونية واتباع السنة. وتارة يقولون: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح وكل هذا صحيح. فإذا قالوا: قول وعمل فإنه يدخل في القول قول القلب واللسان جميعا ; وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام ونحو ذلك إذا أطلق.. ...والمقصود هنا أن من قال من السلف: الإيمان قول وعمل أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح ; ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب" أهـ.[1]

ولا شك بأن تفسير الإيمان بأنه قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح أوضح في بيان المقصود ويزيل الخلاف اللفظي عند السلف في معنى الإيمان ، وهذه المعاني الثلاثة، قد تضمنتها أركان الشهادتين وشروطهما:

---

(١) - الإيمان الكبير ٩٧-٩٨

- فالجزء الأول من معاني الإيمان هو : قول اللسان، وقد تحقق في الركن الأول من أركان الشهادتين، وهو ركن النطق بهما.
- الجزء الثاني من معاني الإيمان وهو اعتقاد القلب ، وقد تحقق في موضعين:
  - الموضع الأول : اعتقاد القلب الذي تضمنته بقية أركان الشهادتين وهي: ركن النفي، وركن الإثبات، وركن المتابعة، فإن جميع ما تضمنته من المعاني هي اعتقاد بالقلب.
  - الموضع الثاني: اعتقاد القلب الذي تضمنته شروط الشهادتين وهي العلم والقبول والمحبة اليقين والصدق والإخلاص والانقياد فكل هذه الشروط هي من عمل القلب كما تقدم.
- الجزء الثالث من معاني الإيمان وهو: عمل الجوارح وهو من لوازم عمل القلب، وهو العمل بموجب شروط الشهادتين -من العلم والقبول والمحبة اليقين والصدق والإخلاص والانقياد –من خلال أداء بقية أركان الإسلام المتمثلة في الصلاة، والزكاة، والصوم والحج، ويلحق بها الجهاد ونحو ذلك من أعمال الجوارح.

❖ المسألة الثانية : هل العمل بالجوارح شرط للصحة ؟ أم شرط كمال؟

((قال الشيخ عبد العزيز الراجحي في جريدة الجزيرة عدد ١٢٥٠٦ في ١٤٢٣/٧/١٣هـ: :"وقد سألت شيخنا الإمام ابن باز رحمه الله عام(١٤١٥هـ) ـ وكنا في أحد دروسه رحمه الله ـ عن الأعمال : أهي شرط صحة للإيمان ، أم شرط كمال ؟

فقال رحمه الله : من الأعمال شرط صحة للإيمان لا يصح الإيمان إلا بها كالصلاة ، فمن تركها فقد كفر. ومنها ما هو شرط كمال يصح الإيمان بدونها ، مع عصيان تاركها وإثمه. فقلت له رحمه الله : من لم يكفر تارك الصلاة من السلف ، أيكون العمل عنده شرط كمال ؟ أم شرط صحة ؟ فقال : لا ، بل العمل عند الجميع شرط صحة ، إلا أنهم اختلفوا فيما يصح الإيمان به منه ؛ فقالت جماعة : إنه الصلاة ، وعليه إجماع الصحابة رضي

الله عنهم ، كما حكاه عبد الله بن شقيق. وقال آخرون بغيرها. إلا أن جنس العمل لابد منه لصحة الإيمان عند السلف جميعاً. لهذا الإيمان عندهم قول وعمل واعتقاد ، لا يصح إلا بها مجتمعة(أهـ)نقلاً عن جريدة الجزيرة -

❖ المسألة الثالثة : المقصود بالعمل في هذا الشرط هو:(العمل بالجوارح).

مما تقدم تبين أن العمل في كلام أهل العلم يشمل أعمال القلوب ، وأعمال الجوارح ، وعمل القلب داخل فيما تقدم من الأركان باستثناء النطق بالشهادتين فهو قول باللسان ، وعمل القلب داخل أيضا في جميع الشروط المتقدمة بلا استثناء ، لأن مدار الأركان الثلاثة(النفي والإثبات والمتابعة) ، ومدار الشروط السبعة المتقدمة ، مبني على الاعتقاد القلبي وقد سبق تقرير ذلك .

فالمقصود بالعمل هنا هو العمل بالجوارح .وهو شرط من شروط الشهادتين ودليل على توفر جميع الأركان وبقية الشروط -ظاهرا- في كل من يؤدي عمل الجوارح .

❖ المسألة الرابعة: أدلة شرط عمل الجوارح . وقد دل على هذا الشرط الكتاب والسنة :

- فمن الكتاب :
- قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ من الآية (١٠٥، سورة التوبة)، وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (من الآية ١١٠ سورة الكهف)
- وقوله تعالى : ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ ،
- وقوله تعلى ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢-٣]

- وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]

وجه الاستدلال من عموم الآيات ، وماجاء في معناها : أن الإيمان يقتضي العمل .

- ومن السنة :

- ماجاء في البخاري عن أنس بن مالك ﷺ عن النبيﷺ أنه قال :" أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله" [(١)].
- وفي الصحيحين عن بن عمر رضي الله عنهما عن النبيﷺ أنه قال " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله" [(٢)].
- وتقدم حديث ابن عمر رضي الله عنهما في الصحيحين عندما ذكر أن مبنى الإسلام على أركان خمسة أربعة منها عمل بالجوارح .

وجه الاستدلال: أن هذه الأحاديث وما جاء في معناها تدل على أن المسلم لا يكون مسلما إلا إذا بهذه الأعمال ، وأن النطق بالشهادتين لا يكفي في ذلك .

- وفي الصحيحين عن أبي هريرةﷺ"قال عمر لأبي بكر : كيف تقاتل الناس وقد قال النبي ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله؟ فقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه

---

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٨٧) برقم: (٣٩٢) (كتاب الصلاة ، باب فضل استقبال القبلة) (بهذا اللفظ)

(٢) - . أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٤) برقم: (٢٥) (كتاب الإيمان ، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) (بهذا اللفظ) ومسلم في "صحيحه" (١ / ٣٩) برقم: (٢٢) (كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله) (بمثله.)

إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه . فقال عمر فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق"[١]

وجه الاستدلال: أن عصمة المال والنفس لا تكون بمجرد قول الشهادتين ، بل لابد من الإتيان بالعمل ومن ذلك : الصلاة والزكاة .

❖ المسألة الخامسة : تحقيق شرط العمل بالجوارح .

العمل بالجوارح قسمان :

- القسم الأول : وهو العمل الضروري ، وهو : الحد الأدنى من أعمال الجوارح كالصلاة ، فمن تخلف عن الإتيان بهذا العمل فهو فاقد لهذا شرط عند كثير من أهل العلم ، وقد تقدمت الإشارة إلى الخلاف ، وكذا من كان تاركا لجنس العمل بالجوارح فهو يكفر بلا خلاف بين السلف كما تقدم وإن كانت المسألة -من حيث التطبيق على الأعيان- تبقى مسألة نظرية.
- القسم الثاني: العمل التكميلي للقسم الأول وتحقيقه يدل على كمال الإيمان ، بأن يقوم بجميع الأوامر بما في ذلك المندوب ، وترك جميع النواهي بما في ذلك المكروه في العبادات والمعاملات ، وفي هذا القسم يختلف الناس بحسب قوة الإيمان وضعفه ، والمخالفة في هذا القسم قد تنافي كمال الإيمان الواجب إذا كان المخل به في أعمال الجوارح من الواجبات ، او المحرمات.

فالمنافاة التامة لهذا الشرط ، عدم وجود الحد الأدنى من العمل ، بحيث أنه لا يعمل شيئا من جنس عمل الجوارح ، أو يترك عملا يعد تركه كفرا عند الكثيرين كترك الصلاة .

---

[١] – أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ٩٣) برقم: (٧٢٨٤) (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم) (بهذا اللفظ) ،ومسلم في "صحيحه" (١ / ٣٨) برقم: (٢٠) (كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله) (بمثله.)

والمنافاة الجزئية : أن لا يلتزم التزاما تاما بما تقتضيه هذه الكلمة بامتثال الأوامر بفعلها واجتناب النواهي بتركها ، وهذا بتفاوت فيه الناس ، فهناك من يخل ببعض الواجبات ، ويرتكب بعض المحرمات فهو واقع فيما ينافي كمال الإيمان الواجب .

فتحقيق هذا الشرط يكون : بمحاولة آداء جميع الواجبات والمندوبات ، وترك جميع المحرمات والمكروهات ، ومحاولة الوصول إلى ما يمكن الوصول إليه من كمال عمل الجوارح . وقد قال ﷺ كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ ، عن النبي ﷺ قال: إن الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا ، وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة ، وشيء من الدلجة" [1] .

فآداء جميع أعمال الجوارح من الواجبات والمندوبات ، وترك جميع المحرمات والمكروهات درجاته كثيرة ، وليس لتمام ذلك حد ، والأداء الناقص هو الأغلب في أحوال أهل الإسلام.

والله تعالى أعلم .

---

(١) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٧) برقم: (٣٩) (كتاب الإيمان ، باب الدين يسر) (بهذا اللفظ)

المقدمة السادسة:

الدلالة الظاهرة والدلالة الباطنة للأركان والشروط

وفيها مسألتان:

❖ المسألة الأولى : العلاقة بين الدلالة الظاهرة والدلالة الباطنة للأركان والشروط .

الدلالة الباطنة للأركان والشروط :تتمثل في وجود الاعتقاد الصحيح الذي تضمنته تلك الأركان الثلاثة من النفي والإثبات والمتابعة ، وما تضمنته بقية الشروط من علم القلب وقبوله ، ومحبته ويقينه وصدقه وإخلاصه وانقياده. وهذه الدلالة لا يمكن معرفتها على الحقيقة ؛ لكون هذه الدلالة دلالة باطنة ، فهي من علم الغيب . ولكن يمكن الحكم بوجودها من عدمه من خلال معرفة الدلالة الظاهرة للأركان والشروط.

- الدلالة الظاهرة للأركان والشروط: تتمثل في أمرين :
  - ١- النطق بالشهادتين والالتزام الظاهر بشروط الشهادتين .
  - ٢- القيام بآداء عمل الجوارح كالصلاة، والزكاة، والحج والجهاد ونحو ذلك من أعمال الجوارح. والامتثال للأوامر والنواهي -ظاهرا- .
- فالامتثال ظاهرا بنطق الشهادتين والامتثال ظاهرا للأوامر والنواهي ، وآداء عمل الجوارح ، دليل على توفر الدلالة الباطنة لتلك الأركان والشروط ظاهرا ، فيحكم لصاحبها بالإسلام.

فإن المكلف لم يمتثل لإداء أعمال الجوارح إلا لأنه –فيما يظهر- قد وجد عنده الاعتقاد الصحيح الذي تضمنته تلك الأركان ، ووجدت عنده الدلالات الباطنة الصحيحة التي تضمنتها تلك الشروط.

ولكن هذا الامتثال الظاهر لا يغني عن الامتثال الباطن ، ولا يصح بدونه ، كحال المنافق ، فإن امتثاله يعد امتثالا ظاهرا فحسب.

فالدلالات الباطنة لهذه الأركان والشروط لا تثبت إلا بعمل الجوارح ومما يدل على ذلك: ما تقدم في المقدمة السابقة(المسألة الرابعة) .

❖ المسألة الثانية: حكم الدلالة الباطنة والدلالة الظاهرة نفيا وإثباتا.

الدلالة الباطنة لهذه الأركان والشروط - من: الاعتقاد الصحيح بما تضمنته الأركان من العقيدة في النفي والإثبات والمتابعة ، وما تضمنته الشروط من : علم القلب ، ومحبته ، وصدقه ، وإخلاصه ، ويقينه ، وقبوله ، وانقياده - فهذه لا سبيل إلى إثباتها ، ولا إلى نفيها ، فيما يتعلق بأحكام الآخرة ، فعلمها عند الله وحده ، أما في أحكام الدنيا، فإنها تنبني على الظاهر.

والمعنى: أنه قد يوجد من العبد الامتثال الظاهري فيحكم له بالإسلام، مع أنه قد يكون من حيث الدلالة الباطنة فاسد العقيدة ، وقد لا يوجد عند العبد الامتثال الظاهر فيحكم بكفره أو فسقه ، مع أنه قد يكون من حيث الدلالة الباطنة صحيح العقيدة أو معذورا عند الله.

❖ مسألة : إذا لم توجد الدلالة الظاهرة- وهي (عمل الجوارح)، (فلم يمتثل بفعل الأوامر وترك النواهي)- فهل يستدل بذلك على نفي الدلالة الباطنة ؟

لايخلو الأمر: إن كان ترك المأمور به، أو فعل المنهي عنه يعد ناقضا من نواقض الإسلام ؛ فإن هذا يعتبر دليلا على نفي الدلالة الباطنة في أحكام الدنيا ، فإن من يدعي الإسلام، ويقع في ناقض من نواقض الإسلام الظاهرة ،كالشرك بالله، أو يكون تاركا للصلاة -على القول بتكفيره-، أو تاركا لجميع الأعمال فإنه يحكم بكفره - من حيث الاعتقاد فقط : يعني اعتقاد كفر من فعل

ناقضا من نواقض الإسلام- ولكن هذا الحكم الذي بنيناه على الظاهر ، لا يعني تطبيق أحكام الكفر على هذا المعين من حيث استباحة دمه وماله وغير ذلك من أحكام الردة ، فهذا لم يقل به أحد ممن يعتبر قوله ؛ لأن تطبيق أحكام الكفر على المعين لابد أن يكون بحكم شرعي ، يصدر من حاكم شرعي في ولاية شرعية ، بعد إقامة الحجة والاستتابة ، والتأكد من توفر الشروط وانتفاء الموانع.

وأما أحكام الآخرة فعلمها عند الله ، وظاهر الكتاب والسنة أن من مات على ناقض من نواقض الإسلام المتفق عليها فهو من أهل النار عند من ثبت له ذلك ، ولا يعني ذلك أن هذا هو الحكم عند الله ، ولكن إنما تعبدنا الله ببناء الأحكام الشرعية في الدنيا على ما يظهر لنا بالدليل .

وبناء على ذلك، فالامتثال للأوامر والنواهي -ظاهرا- كالصلاة، والزكاة، والحج والجهاد ونحو ذلك من الأعمال الظاهرة يدل على توفر الدلالة الباطنة لهذه الأركان والشروط ظاهرا.

وعدم الامتثال للأوامر والنواهي ظاهرا، يدل دلالة ظاهرة على فقدان الدلالة الباطنة لهذه الشروط ظاهرا.

فزوال الدلالة الباطنة للحد الأدنى لأي شرط من هذه الشروط يزيل الإيمان بالكلية، فإذا زال الحد الأدنى من تصديق القلب، أو ورضاه، ومحبته لله، وصدقه، زال الإيمان بالكلية .

❖ وإذا زال شيء من أعمال الجوارح كالصلاة، والحج والجهاد مع بقاء تصديق القلب وقبوله: فهل يزول الإيمان بالكلية؟ وهل يكفر تاركه أو لا يكفر ؟ وهل: يفرق بين الصلاة، وغيرها أو لا يفرق، فهو محل خلاف. قال القاضي عياض –رحمه الله-: ". ..واختلف العلماء فى قتل تارك غير الشهادتين، فأكثرهم على أن ذلك حدٌ لا كفرٌ، وهو الصحيح، وقيل: كفر والقول بهذا فى

تارك الصلاة أكثر "[١] وتقدمت الإشارة لذلك في كلام الشيخ ابن باز رحمه الله في المسألة الثانية. والله تعالى أعلم.

==========

تم بحمد الله الانتهاء من هذه النسخة عصر يوم الأربعاء ، الموافق للتاسع ، من شهر محرم، من عام ثمان وأربعين وألف وأربعمائة للهجرة النبوية .

والحمد لله رب العالمين الذي تتم بنعمته الصالحات.

---

(١) - إكمال المعلم شرح صحيح مسلم - للقاضي عياض (١/ ١٨١)